# الإمام الحسين عليه السلام وخيارات المواجهة قراءة في نصائح المتخلفين

المدرس الدكتور
شهيد كريم محمد
جامعة ميسان ـ كلية التربية
Kaabis22@yahoo.com

المدرس الدكتور
علي رحيم أبو الهيل
جامعة ميسان ـ كلية التربية الأساسية

**البحث الخامس الفائز بجائزة السبط الشهيد الامام الحسين بن علي عليه السلام الدولية للإبداع الفكري**

كانت اللحظات الأخيرة التي عاشها النبي صلى الله عليه وآله وما صحبها من اختلاف الحاضرين بين قبول ما أراد أن يكتبه أو رفضه بدعوى انتقاض ولايته وفعله بحال المرض، وكفاية القرآن لتنظيم مستقبل الجماعة الإسلامية، نقطة الشروع لانقسام تلك الجماعة بصورة فعلية بين مبدأين مختلفين تماماً من حيث العقيدة والفكر والفلسفة والتوجه السياسي.. الخ. وقد استكملت عملية الانقسام والفصل شكلها النهائي بعد حادثة السقيفة التي فتحت الباب واسعاً- فيما بعد - لتشظي الجسد الإسلامي، سيما بعد تأسيس وإقرار مبدأ الخروج على أمر النبي صلى الله عليه وآله، وهو الأمر الذي ما فتئ عبد الله بن عباس يتذكره فيعتصر ألماً و يقول:" إن الرزية كل الرزية ما حال بين رسول الله، وبين أن يكتب لهم ذلك الكتاب من اختلافهم ولغطهم"(١). وكان النص القرآني قد حذر من هذه الحقيقة الخطرة فقال: ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ وَمَنْ يَنْقَلِبْ عَلَى عَقِبَيْهِ فَلَنْ يَضُرَّ اللَّهَ شَيْئًا وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ﴾. آل عمران/١٤٤. أي أنه ميز بين صنفين من المسلمين، الأول: المنقلبين على أعقابهم، والثاني: الملتزمين بأمر النبي صلى الله عليه وآله الشاكرين.

وقد تمخضت العقود اللاحقة عن اختلال كبير في موازين الانتماء والاصطفاف، فكانت المدة القصيرة لخلافة الإمام الحسن عليه السلام استكمالاً لمحاولة التصدي العسكري الذي بدأه أمير المؤمنين عليه السلام لهذا الانحراف والانقلاب المدمر، ولكنه حينها كان قد استكمل دورانه وتمكن من جسد الأمة وروحها وبات إقراره بصورته الأموية وشيك الوقوع، إذ أمسى أعداء الإسلام ورؤوس الكفر والنفاق وطلقاء الفتح خلفاء وسادة للمسلمين، بينما أضحى أهل

بيت النبوة وأتباعهم من شخوص الإسلام المبرزين معارضة مهمشة مقصاة، وصفت حين مثلها الإمام الحسين عليه السلام في كربلاء بأنها حركة خروج على الخليفة وولي الأمر الشرعي!.

لا شك وضعت كربلاء الجماعة الإسلامية- بعد تجربتها مع الإمام علي عليه السلام والإمام الحسن عليه السلام - للمرة الثالثة على المحك بشكل مباشر وواضح لا يقبل التأويل ولا الظن والاحتمال، فإما أن يواصلوا حقيقة كونهم- كما عبر الإمام الحسين عليه السلام-: "عبيد الدنيا والدين لعق على ألسنتهم، يحوطونه ما درت معائشهم فإذا محصوا بالبلاء قل الديانون"(٢)، وإما أن يثوبوا لصوت الإسلام المحمدي الأصيل، فكان أن الغالبية منهم آثرت الاحتفاظ بمعايشها وترك الدين سيما الذين قبلوا أن يكونوا عبيداً منذ وقت سابق.

إن قراءة كربلاء تحتاج للارتقاء - في كثير من الجوانب - لمستوى الحدث الذي عبر عنه الإمام المعصوم بقوله: لا يوم كيومك يا أبا عبد الله(٣)، بعبارة أخرى لا يوم تعرض فيه الحق والإنسانية ومبادئ السماء التي نادى بها الأنبياء والمرسلين والصالحين والعقلاء، ولا مصيبة ولا فاجعة كفاجعة الإمام الحسين عليه السلام منذ أن خلقت الدنيا وحتى تفنى، وإلا فكلام المعصوم لا يريد اختزال عدم تماثل ذلك اليوم بغيره من ناحية العبرة والعاطفة والمأساة فقط، ولذا غدت زيارة الإمام الحسين عليه السلام مع المعرفة بحقه تعدل الواجب المندوب - أي الحج - بأضعاف مضاعفة(٤).

وعليه فزاوية النظر يجب أن تكون حادة ودقيقة بدقة الحدث وأهميته ومحوريته في اصطفاف الجماعة الإسلامية وتباينها في فواعل الانتماء، وهي مسألة- للأسف- أفتقدها أغلب المسلمين المعاصرين، كما افتقدها كثير من المعنيين ببلورة وضبط بوصلة الرؤية لعصر الإسلام الأول في الوقت الحاضر، فهناك العديد ممن يتحدثون عن الإمام الحسين عليه السلام وكربلاء بمعزل زمني وفكري وانتمائي عن عهد وشخص ونهج النبوة، وامتداده في عهد الإمام علي والإمام الحسن عليه السلام، وكأنهم يفككون هذه الكتلة المنهجية الفكرية الشخصية إلى أجزائها الذاتية، وهو أمر لاشك ينطوي على مغالطة كبيرة؛ وإلا فالإمام الحسين عليه السلام يخاطب القوم في كربلاء: هل تشكون أني ابن النبي وسبطه/هذه عمامة رسول الله/هذا درعه/هذا سيفه/هذه ملابسه/ هذا دمه ولحمه...(٥)، وتقول السيدة الحوراء عليها السلام: اليوم مات جدي رسول الله/ اليوم مات أبي علي/ اليوم ماتت أمي فاطمة/اليوم مات أخي الحسن(٦).

لاشك أن هذه النداءات تريد استثارة انتباه المجتمع المخاطب لحقيقة الزخم الديني والمعنوي والروحي الذي يمثله الإمام الحسين عليه السلام، ذلك الزخم الذي ينتظم على اعتابه أنه ابن النبي صلى الله عليه وآله وسبطه وريحانته...، وأنه الوارث والضامن الأخير لشخوص حادثة الكساء وحدث وآية المباهلة..، ولكن يبدو أن غالبية المجتمع الإسلامي تغافلت عن أن تنظر للإمام الحسين عليه السلام عبر هذه الحيثيات فكانت نظرتها شوهاء يتخللها الارتداد لعقلية الجاهلية والمصلحة المادية والخوف والطمع، وغيرها من فواعل الانتماء للطرف الآخر، وهي متباينات أوجزها الفرزدق بقوله للإمام عليه السلام: قلوب الناس معك وسيوفهم عليك(٧).

وبين هذا التباين والتأرجح في المواقف كان هناك صنف ثالث من المسلمين آثر أن يلتزم جانب الحياد ولكنه حياد سلبي بكل ما تحمل الكلمة من معنى بدلالة أن نداء الإمام الحسين عليه السلام يعبر عنهم بالمتخلفين، وقد تجرأ قسم منهم، إما بدافع التبرير لتخلفه وإما لركونه لواقع أنه عبد للدنيا والدين لعق على لسانه يحوطه حيث ما درت معايشه، على تقديم النصح للإمام الحسين عليه السلام لترك الثورة والخروج أو التأني بها وتغيير استراتيجية النهوض. فهل كان هؤلاء(المحايدون/المتخلفون/الناصحون) يتعاملون من منطلق الوعي الكامل والتام لمشروع النهوض والثورة الحسينية؟. وهل كانوا يعون خطورة ومعنى تخلفهم؟. أم هل استشعروا وفكروا بالصيغ اللفظية لنداءات الإمام عليه السلام؟. وهل آن لنا أن نقرأ هذا الموضوع ومثيلاته من زواياه المباشرة والقائمة دون الالتفات لإملائية النص التاريخي وتوجيهه، ودون التبريرية المرتدة لفواعل تقديس الموروث والمتعارف؟.

لعل الخوض في هذا الموضوع ينطوي على كثير من الاحراج والخطورة في آن واحد، ولا شك أنه يثير انطباعات متباينة بين الرضا وعدم التقبل، سيما وأن قسم من هؤلاء المتخلفين كان شديد الالتصاق بالإمام الحسين عليه السلام فمنهم أخوه محمد بن الحنفيه وأولاده ومنهم ابن عمه عبد الله بن جعفر، ومنهم عبد الله بن العباس وولد بني العباس عموماً، ومنهم أخوه عمر الأطرف بن الإمام علي عليه السلام، فقد تخلف عمر عن أخيه الحسين عليه السلام، ولم يسر معه وكان قد دعاه إلى الخروج معه فلم يخرج، ويقال إنه لما بلغه قتل أخيه الحسين عليه السلام خرج في معصفرات(٨) له وجلس بفناء داره وقال: أنا الغلام الحازم ولو أخرج معهم لذهبت في المعركة وقتلت. ولا يصح رواية من روى أن عمر حضر كربلاء. وكان أول من بايع عبد الله بن الزبير ثم بايع بعده الحجاج(٩).

وكذلك ابن أخيه زيد بن الإمام الحسن عليه السلام وقد تخلف عن عمه الحسين عليه السلام فلم يخرج معه إلى العراق، وبايع بعد قتل عمه الحسين عبد الله بن الزبير لأن أخته لأمه وأبيه كانت تحت عبد الله ابن الزبير . فلما قتل عبد الله أخذ زيد بيد أخته ورجع إلى المدينة وله في ذلك مع الحجاج قصة، والعقب منه في ابنه الحسن بن زيد، ويكنى أبا محمد، كان أمير المدينة من قبل المنصور الدوانيقي، وعمل له على غير المدينة أيضا وكان مظاهرا لبني العباس على بنى عمه الحسن المثنى، وهو أول من لبس السواد من العلويين وبلغ من السن ثمانين سنة، وتوفى بالحجاز سنة ثمان وستين ومائة وأدرك زمن الرشيد[١٠].

لاشك أن مناقشة موقف هذه الشخصيات من الإمام الحسين عليه السلام ينطوي على قدر كبير من الحساسية والاحراج، ولكن عزاء البحث يبقى أنه يحاول القيام بخطوة نقدية جادة لجزئية لَحَظَ أنها أهملت- رغم أهميتها ومركزيتها- لوقت طويل، ربما لتفادي الخوض فيها جراء تلك الحراجة، أو لعدم الالتفات لارتكازها العميق في تحليل طبيعة الاستجابة المجتمعية وتفاعلها مع ثورة الإمام الحسين عليه السلام.

وسيركز البحث على الشخصيات التي نُص على أنها قدمت نصائح أو خيارات مواجهة بديلة للإمام الحسين عليه السلام، على اعتبار قربها منه وحضورها المجتمعي الفاعل حينها، و لافتراض أنها كانت تعي خطورة الموقف وحيثياته لكنها اكتفت بتقديم النصيحة فقط. وسيعمد البحث لعرض نصائح المتخلفين، ومن ثم مناقشة فرضياتها حسب المعطيات التاريخية لمعرفة مدى نجاعتها في خيارات المواجهة الوشيكة الوقوع، ولمعرفة طبيعة ومستوى تفاعل أصحابها مع الحدث المرتقب كماً ونوعاً، ومن ثم موقف الإمام عليه السلام منهم، وبالتالي تقييم مستوى الاستجابة المجتمعية لنداءات الإمام عليه السلام عبر هذه العينات، وصولاً لقراءة تلك النداءات وفق دلالاتها الآنية وصيغها اللفظية ذات التجذير والإحالة القرآنية، التي أراد الإمام عليه السلام من خلالها النص على التماثل بين شخصه وشخص النبي صلى الله عليه وآله، وما يفترض أن تكون عليه استجابة الجماعة الإسلامية لكليهما.

**أولاً- نصيحة محمد بن الحنفية (رض) .**

أكثر ما يروى في عمر محمد بن الحنفية(رض) أنه مات سنة(٨١-٨٢هـ)وله من العمر٦٥ سنة[١١]، مما يعني أنه ولد سنة(١٦-١٧هـ). وقد ورد أن ولادته كانت لسنتين بقيتا من خلافة

عمر بن الخطاب، وتوفي في سنة إحدى وثمانين للهجرة، وقيل: سنة ثلاث وثمانين، وقيل: سنة اثنتين أو ثلاث وسبعين بالمدينة(١٢)، وقيل: ولد لثلاث سنين بقيت من خلافة عمر بن الخطاب، ومات برضوى سنة ثلاث وسبعين(١٣). ومن المشهور أن أمه الحنفية كانت من سبي اليمامة وهي إنما فتحت في عهد أبي بكر(١٤). وروي أن بني أسد أغاروا على بني حنيفة فسبوا خولة بنت جعفر الحنفية فقدموا بها إلى المدينة في أول خلافة أبي بكر، فاشتراها الإمام علي عليه السلام فبلغ قومها الخبر، فجاءوا وأخبروا الإمام عليه السلام بما جرى وموضعها منهم فأعتقها وتزوجها فولدت محمدا(١٥). وعلى العموم لم يُختلف أنه ولد في خلافة أبي بكر أو عمر(١٦). إذن كان عمره عندما ثار الإمام الحسين عليه السلام بين(٤٨- ٤١سنة).

تشكل شخصية محمد بن الحنفية(رض) نقطة ارتكاز مهمة في هذا البحث، فمع ما روي من فضائله وعلو منزلته وطاعته للأئمة عليهم السلام، لم يشترك ولا أيٍ من ولده الذين ينص ابن عنبة أنهم كانوا(١٤ ولد ذكر) سوى بناته(١٧) في كربلاء!؟. وعلى فرض أن بعضهم ولد بعدها يبقى أن ولده عبد الله أبو هاشم وولده الحسن وولده علي وولده جعفر، وربما غيرهم كانوا رجالاً حينها، بدلالة نص ابن عنبة:" فالعقب المتصل الآن من محمد من رجلين علي وجعفر قتيل الحرة. فأما ابنه أبو هاشم عبد الله الأكبر إمام الكيسانية وعنه انتقلت البيعة إلى بنى العباس فمنقرض. أما جعفر بن محمد ابن الحنفية فقتل يوم الحرة حين أرسل يزيد بن معاوية مسرف بن عقبة المري لقتل أهل المدينة المشرفة ونهبهم وفي ولده العدد"(١٨). وتراتب ذكر ولد محمد بن الحنفية يحيل إلى أن علي كان أكبر من جعفر- قتيل الحرة- وهذا الأخير كان متزوج وله عدد من الأولاد حينها، أي أنه قد بلغ مبالغ الرجال فتزوج وأنجب؟. أما عبد الله أبو هاشم فهو ولده الاكبر، وقد نص الذهبي على أنه كان كهلاً حين قتل عام ٨٩هـ، بتدبير سليمان بن عبد الملك بن مروان، في طريق عودته إلى المدينة(١٩). أما الحسن فيبدو أنه كان أصغر من عبد الله أبو هاشم بشيء قليل، فقد روى عنهما الزهري بعض الأخبار والأحاديث، وقال: هما عبد الله والحسن ابنا محمد بن الحنفية، كانا جليلين عالمين ثقتين، إلا أن عبد الله تنتحله الشيعة بأسرها والحسن أول من تكلم بالإرجاء، وكان الحسن بن محمد بن الحنفية رأس المرجئة الأولى، وأول من تكلم في الإرجاء، وكان داعية أبيه إذ كان أبوه في الشعب، ولما خرج الحسن داعية لأبيه أخذه إبراهيم بن الأشتر بنصيبين فبعث به إلى مصعب بن الزبير، فبعث به مصعب بن الزبير إلى أخيه عبد الله فحبسه في السجن..(٢٠). بمعنى أنه كان رجلاً بالغاً بحيث

اعتمد عليه أبوه محمد بن الحنفية(رض) حين حصره عبد الله بن الزبير في شعب أبي طالب في مكة خلال مدة حكمه الحجاز (٦٤- ٧٢هـ). وقال ابن سعد في الطبقات:" وكان يقدم على أخيه أبي هاشم في الفضل والهيئة وهو أول من تكلم في الارجاء"(٢١).

ورد أن محمد بن الحنفية(رض)كلم الإمام الحسين عليه السلام في المدينة قبل خروجه منها وأشار على الإمام بقوله:" تنح ببيعتك عن يزيد وعن الأمصار ما استطعت، وأبعث رسلك إلى الناس وادعهم إلى نفسك فإن بايعوا لك حمدت الله على ذلك، وإن اجمع الناس على غيرك لم ينقض الله بذلك دينك ولا عقلك ولا تذهب به مروءتك ولا فضلك. إني أخاف أن تأتي مصرا أو جماعة من الناس فيختلفوا عليك، فمنهم طائفة معك وأخرى عليك فيقتتلون فتكون لأول الأسنة، فإذا خير هذه الأمة كلها نفسا وأبا وأما، أضيعها دما وأذلها أهلا. فقال الإمام الحسين عليه السلام :فأين أذهب يا أخي؟. قال: انزل مكة، فإن اطمأنت بك الدار فبسبيل ذلك، وأن نأت بك لحقت بالرمال وشعف الجبال، وخرجت من بلد إلى بلد حتى تنظر إلى ما يصير أمر الناس، ويفرق لك الرأي فأنت أصوب ما يكون رأيا وأحزمه عملا حين تستقبل الأمور استقبالا ولا تكون الأمور عليك أبدا أشكل منها حين تستدبرها. قال: يا أخي قد نصحت وأشفقت وأرجو أن يكون رأيك سديدا وموفقا إن شاء الله.. وإني قد عزمت على الخروج إلى مكة وقد تهيأت لذلك أنا وإخوتي وبنو إخوتي وشيعتي وأمرهم أمري ورأيهم رأيي، وأما أنت يا أخي فلا عليك أن تقيم بالمدينة فتكون لي عينا عليهم ولا تخف علي شيئا من أمورهم)(٢٢).

ونص ابن طاووس (ت٦٦٤هـ)على أن الإمام الحسين عليه السلام لما أراد الخروج من مكة إلى العراق، بعث لبني هاشم المتواجدين في المدينة، فجاءه منهم محمد بن الحنفية رضي الله عنه فقال: سار محمد بن الحنفية إلى الحسين في الليلة التي أراد الخروج في صبيحتها عن مكة، فقال: يا أخي. إن أهل الكوفة من قد عرفت غدرهم بأبيك وأخيك، وقد خفت أن يكون حالك كحال من مضى فإن رأيت أن تقيم فإنك أعز من في الحرم وأمنعه. فقال: يا أخي. قد خفت أن يغتالني يزيد بن معاوية في الحرم فأكون الذي يستباح به حرمة هذا البيت. فقال له ابن الحنفية: فإن خفت ذلك فصر إلى اليمن أو بعض نواحي البر فإنك أمنع الناس به ولا يقدر عليك أحد فقال: أنظر فيما قلت. فلما كان السحر ارتحل الحسين عليه السلام فبلغ ذلك ابن الحنفية فأتاه فأخذ

زمام ناقته التي ركبها . فقال له : يا أخي ألم تعدني النظر فيما سألتك؟. قال بلى. قال : فما حداك على الخروج عاجلا؟. فقال: أتاني رسول صلى الله عليه وآله بعد ما فارقتك، فقال: يا حسين أخرج فإن الله قد شاء أن يراك قتيلا. فقال له ابن الحنفية: إنا لله وإنا إليه راجعون. فما معنى حملك هؤلاء النساء معك وأنت تخرج على مثل هذه الحال؟. فقال له: قد قال لي إن الله قد شاء أن يراهن سبايا، وسلم عليه ومضى(٢٣).

تستطيع القراءة التاريخية لهذه النصيحة أن تسجل العديد من الاعتراضات والتساؤلات التي يزيد من إلحاح توجيهها استبعاد أنها كانت غائبة عن بال محمد بن الحنفية رضي الله عنه، سيما مع ما يفترض من أنه فكر ملياً في حيثياتها وقلبها على وجوهها المتعددة، بمعنى أنه استفرغ كافة أوجه الاحتمالات المطروحة خلالها. ولعل أبرز هذه التساؤلات هي:

١- هل كان خيار التنحي متاحاً للإمام الحسين عليه السلام؟، سيما وأن تعليمات يزيد لوالي المدينة كانت واضحة جدا وهي أن يأخذ البيعة من الناس بشكل عام ومن الإمام بشكل خاص: خذ حسيناً وعبد الله بن عمر وعبد الله بن الزبير بالبيعة أخذاً شديداً ليست فيه رخصة حتى يبايعوا(٢٤). وتجدد هذا التصريح في موقف الحر الرياحي وجماعته عند لقائهم بالإمام عليه السلام:" وقد أمرنا إذا نحن لقيناك ألا نفارقك حتى نقدمك على عبيد الله بن زياد"(٢٥). على أن ذلك وإن كان هو مقدار المهمة التي كلف بها الحر- ربما لحين تكامل وصول الجيوش الأموية- فهو أيضاً لا يعني إلا الاستسلام أو القتل ولا خيار ثالث. بل أنه أكد بكتاب آخر :"أما بعد، فجعجع(٢٦) بحسين حيث يبلغك كتابي، ويقدم عليك رسولي، ولا تنزله إلا في العراء في غير حصن وعلى غير ماء"(٢٧). ويؤكد عدم وجود خيار أن الإمام الحسين قال لهم:" وأيم الله لو كنت في جحر هامة من هذه الهوام لاستخرجوني حتى يقضوا في حاجتهم، والله ليعتدن عليّ كما اعتدت اليهود في السبت(٢٨).

وإذا كان الإمام الحسين عليه السلام لا يستطيع أن يأمن على نفسه في المدينة ومكة، مع وجود عدد من شيعته وأنصاره وبني عمومته، ومع وجود بيئة اجتماعية رافضة لتولي يزيد، ومع توفر الأجواء الدينية والروحية التي ربما تعيق- وإن بنحو ما- تهور البطش الأموي وتصفيته لمعارضيه، فهل يستطيع ذلك في مكان آخر؟.

٢- فرضية بعث الرسل إلى الناس ودعوتهم إلى الإمام الحسين عليه السلام واضح أنها ترفض النظر للأمور بعين الواقع التاريخي، وإلا فالناس هم من راسلوا الإمام الحسين عليه السلام وطلبوا منه القدوم لنصرتهم، وأعلنوا استعدادهم لنصرته...، وما الذي يضمن صدق نية هؤلاء الناس وقد تخلو عنه في وقت الجد والمواجهة، كما تخلوا من قبل عن أبيه الإمام علي عليه السلام وأخيه الإمام الحسن عليه السلام. هذا فضلاً عن أن محمد بن الحنفية(رض) نفسه يعطي انطباع عن اختلاف الناس على شخصه الكريم، فكيف سيتفاعل الناس ويتعاملون مع رسله؟. فضلا عن ذلك الإمام عليه السلام قد أرسل مسلم ابن عقيل عليه السلام إلى الكوفة وقد بايعه أهلها، وهو قد أقام بمكة لما يزيد على أربعة أشهر وفي ذروة موسم الحج، واجتماع الحجيج من كل الأمصار الإسلامية يدعوا الناس لنصرته والتصدي ليزيد وحكومته الجاهلية!.

٣- فرضية بعث الرسل تتحدث بلحاظ السعي إلى الحكم والخلافة، وهذا مالم يتطرق له الإمام عليه السلام لا من قريب ولا من بعيد، فهو يخبر عن أنه خارج للإصلاح/لإعادة الإسلام المحمدي..، لا لطلب الخلافة وكلمات الإمام عليه السلام واضحة في الدلالة على ذلك. ومن ضمنها وصيت التي تركها عند أخيه محمد بن الحنفية رضي الله عنه:... إني لم أخرج أشراً ولا بطرا، ولا مفسدا ولا ظالما، وإنما خرجت لطلب النجاح والصلاح في أمة جدي. أريد أن آمر بالمعروف، وأنهى عن المنكر، وأسير بسيرة جدي محمد[٢٩]. وقوله عليه السلام:"لا والله لا أعطيهم بيدي إعطاء الذليل ولا أقر إقرار العبيد"[٣٠]. وغيرها من الشعارات والأقوال التي حكت حقيقة ومضمون قيامه وثورته الوتر.

٤- هذه الفرضية تنظر للإمام عليه السلام بلحاظ كونه شخصية عادية، ربما لا تختلف كثيراً عن باقي الشخصيات الإسلامية الفاعلة حينها، فتطلب منه أن ينتظر اجتماع الناس ليقوم بأداء فرض الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر واكتساب شرعية القيام!. وقد بين الإمام عليه السلام أنه أولى الناس بالقيام بذلك، فقال": من رأى سلطانا جائرا. مستحلا لحرم الله، ناكثا لعهد الله، مخالفا لسنة رسول الله. يعمل في عباد الله بالإثم والعدوان، فلم يغير بقول ولا فعل. كان حقا على الله أن يدخله مدخله. ألا وإن

هؤلاء قد لزموا طاعة الشيطان، وتولوا عن طاعة الرحمن،- وأظهروا الفساد، وعطلوا الحدود، واستأثروا بالفيء، وأحلوا حرام الله، وحرموا حلاله، وإني أحق من غير[٣١]. إذن فالتركيز على دور الأمة في خلق المرجعية التي تتيح للإمام عليه السلام أن يتحرك شرعياً من خلالها، هي حقيقة دعوى لولا القداسة المرسومة لمحمد بن الحنفية رضي الله عنه في الوجدان الشيعي، والاعتقاد المترسخ بصدور هذا القول منه، لقلنا أنها تحمل في طياتها كثيرا من التجني على شخص الإمام الحسين عليه السلام ومكانته العقدية والإسلامية عموماً كما تحمل كثيرا من الإرباك وسوء الفهم والتناقض مع مبدأ الأمر المعروف والنهي عن المنكر في مدرسة اهل البيت عليهم السلام والذي لخصه قول الإمام السالف.

٤- الإمام عليه السلام لم يتحرك لأنه رأى الأمة مجتمعة على غيره ليقال له: أن اجتماعهم على غيرك لا ينقص فضلك ودينك، وإلا لكان قام في زمن معاوية؟. فهل المسألة شخصية ومتعلقة بالإمام بمفردة أم أنها مسألة أمة ودين وشريعة سماوية يراد بها الذهاب لأن تكون مطية بيد شخص لا يتناهى عن منكر أو وفحشاء يتجاهر بالفسق، ولذا قال الإمام عليه السلام: "على الإسلام السلام إذ قد بليت الأمة براع مثل يزيد"[٣٢]. وقال أيضاً: مثلي لا يبايع مثله.

٥- النصيحة تتحدث بمعزل تام عن ما أخبر به الإمام عليه السلام من أنه خارج ومقتول وستسبى عياله. وهذه النتائج التي يتوقعها ابن الحنفية أخبر عنها النبي والإمام علي والحسين عليهم السلام. وقد باتت من المسلمات التي ينتظر المسلمون حدوثها، وقد أسهبت نصوص الرواة والمؤرخين ببيان هذه الحقيقة التي تؤكد أن خبر شهادة الإمام عليه السلام كان مستفيضا ومعلوماً لدى جل من يعرفه!؛ فقد ذكر عن الفرزدق أنه التقى بعبد الله بن عمرو بن العاص فلامه على عدم المسير مع الإمام الحسين عليه السلام قال: "فهممت أن ألحق به. ووقع في قلبي مقالته. ثم ذكرت الأنبياء وقتلهم، فصدني ذلك عن اللحاق بهم. وقد كان أهل ذلك الزمان يقولون ذلك الأمر، وينتظرونه في كل يوم وليلة. وكان عبد الله بن عمر يقول: لا تبلغ الشجرة ولا النخلة ولا الصغير حتى يظهر هذا الأمر"[٣٣]. على أن هذه المعرفة لم تكن مجرد استشراف لمخاض سياسي، أو توقع

فردي وقدرة شخصية على تحليل الوقائع الحاضرة، وتقدير لنتائج مستقبلية؛ إنما كانت مبنية على شبكة من النصوص، والأحاديث النبوية الشريفة منها:

١- يقتل حسين بن علي على رأس ستين من مهاجرتي(٧).

٢- يقتل الحسين حين يعلوه القتير= الشيب(٣٥).

٣- أن الإمام علي عليه السلام دخل ذات يوم على النبي عليه السلام فوجده وعيناه تفيضان بالدمع، فقال له: "هل أغضبك أحد يا رسول الله؟. قال: قام من عندي جبريل عليه السلام فأخبرني أن أمتي تقتل الحسين أبني. ثم قال: هل لك أن أريك من تربته؟. قلت: نعم. فمد يده فقبض قبضة فلما رأيتها لم أملك عيني أن فاضتا"(٣٦). وروي أنه عليه السلام خطب في مسجد الكوفة فقال:" كيف أنتم إذا نزل ذرية نبيكم بين ظهرانيكم؟. قالوا: إذن نُبلي الله فيهم بلاءً حسنا. فقال: والذي نفسي بيده لينزلن بين ظهرانيكم ولتخرجن إليهم فلتقتلنهم"(٣٧).

٤- روي عن السيدة عائشة: أن الإمام الحسين عليه السلام دخل على النبي صلى الله عليه وآله وهو يوحى إليه.. فقال له جبريل عليه السلام:أتحبه يا محمد؟. قال: يا جبريل. ومالي لا أحب ابني. قال: فإن أمتك ستقتله من بعدك. فمد جبريل عليه السلام يده فأتاه بتربة بيضاء. فقال: في هذه الأرض يقتل ابنك هذا يا محمد. واسمها الطف. فلما ذهب جبريل عليه السلام خرج رسول الله صلى الله عليه وآله والتربة في يده وهو يبكي فقال: يا عائشة إن جبريل صلى الله عليه وآله أخبرني أن الحسين ابني مقتول في أرض الطف. وأن أمتي ستفتتن بعدي. ثم خرج إلى أصحابه وهو يبكي فقالوا: ما يبكيك يا رسول الله؟. فقال: أخبرني جبريل أن ابني الحسين يقتل بعدي بأرض الطف، وجاءني بهذه التربة وأخبرني أن فيها مضجعه(٣٨). وروي أن ذلك حدث في بيت أم سلمه وأن النبي صلى الله عليه وآله قال: يا أم سلمة إذا تحولت هذه التربة دماً فأعلمي أن ابني قد قتل، فجعلتها أم سلمه في قارورة ثم جعلت تنظر إليها كل يوم وتقول: إن يوم تحولين دماً ليوم عظيم(٣٩).

٦- ما جدوى فرضية المكوث في مكة والإمام عليه السلام قد بقي فيها طيلة أربعة أشهر بما فيها موسم الحج يدعو الناس لنصرته ونصرة دين الله دون أن يجد اجابة شافية وتفاعل

يتلاءم وخطورة الموقف؟. ثم إن خروجه منها كان خشية أن يقتل فيها وتنتهك حرمتها إذ قال:" إن أبي حدثني أن بها كبشاً يستحل حرمتها، فما أحب أن أكون أنا ذلك الكبش والله لأن أقتل خارجاً منها بشبر أحب إلي من أن أقتل داخلاً منها بشبر"[٤٠]. وهنا يجدر التساؤل لو أن الإمام الحسين عليه السلام بقي في مكة وقتل فيها، هل سيحقق قتله فيها ذلك الصدى والأثر الذي أحدثته ثورته في كربلاء، أم أن النتيجة ستكون عكسية كما حدث مع عبد الله بن الزبير حين انتهكت حرمة الكعبة بسببه فغدى ذلك مدعاة لقدحه وثلبه وأنه ضحى بحرمة الكعبة خوفا من الموت وطلبا للرئاسة.

٧- الشق الثاني من نصيحة محمد بن الحنفية(رض) هو فرضية في حقيقة الحال تجنح عن منظور المنطق وحسن التدبير بل وحتى الواقعية والقراءة السليمة للأحداث، وإلا هل يرتضى لابن النبي وإمام المسلمين وسيد شباب أهل الجنة وغيرها من الصفات والامتيازات التي يحملها الإمام الحسين عليه السلام أن يعيش مشردا متنقلا من صحراء إلى صحراء ومن بلد إلى بلد، وهو أمر لا يرتضى للصعاليك من الناس فكيف يرتضى للإمام؟. وهل يُؤمن أن الأمويين سوف لن يطاردوه أو يلاحقوه أو يقتلوه غيلة، سيما أنه بهروبه هذا قد يعطيهم المبرر للقيام بذلك، وبالتالي لا يحقق رفضه لبيعة يزيد أي نتيجة تذكر؟. ثم هل يتوقع أن يحصل الإمام الحسين عليه السلام على استجابة يعتد بها في حال ذهابه لليمن أو غيرها من الأمصار الإسلامية وهو لم يحصل على هذه الاستجابة في المدينة ومكة والكوفة وهي معقل الصحابة والمسلمين الأوائل واتباع اهل البيت عليهم السلام؟. لا مناص من القول باستحالة ذلك، فالموقف الرافض للحكم الأموي من قبل أهل البيت عليهم السلام تجاوز في زمن الإمام الحسين عليه السلام عشرون سنة، اثبت خلالها أن تحرك الأمة يكاد يكون لاوجود له، وتجربة الإمام علي والإمام الحسن عليه السلام من قبله خير دليل على ذلك.

٨- يبدو على نصيحة محمد بن الحنفية رضي الله عنه كما باقي نصائح الناصحين أنها تتعامل مع الجنبة العاطفية الوجدانية من الحدث ولا تتطرق لروح التحرك ومبدأه رغم أن الإمام الحسين عليه السلام خلال تلك المحاورات كان يؤكد على ذلك المبدأ، ويجعله المحرك الأساس في خروجه، ويبين أن الجنبة العاطفية التي يتحدث عنها هؤلاء الناصحين

ما هي إلا ضريبة بسيطة جدا لبلوغ ذلك الهدف والمبدأ.

وكأنك تلحظ أن هؤلاء الناصحين في واد والإمام عليه السلام في واد آخر، وكأنهم يختلقون لأنفسهم الأعذار والمبررات للهروب من الصدام الحتمي بين الدنيا والآخرة، الصدام الذي أوجزه الإمام الحسين عليه السلام بقوله: من لحق بي استشهد ومن تخلف عني لم يبلغ الفتح[٤١]. ونحن هنا بمواجهة حقيقة صادمة للوجدان الإسلامي عموما والشيعي على وجه الخصوص فقد وضعت جميع من تخلف عن الإمام الحسين عليه السلام بما فيهم بني هاشم بموضع المسألة والتأرجح سيما وأن الخطاب المتقدم كان موجه لهم بالدرجة الأساس، فالحدث الكائن قد فرز بين صنفين

الأول: من سيلحق بالإمام الحسين عليه السلام وهم الشهداء ومن سيبلغون الفتح.

الثاني: المتخلفون ومن ضيعوا فرصة الشهادة وبلوغ الفتح.

وقد وظف الإمام عليه السلام التعابير القرآنية للإشارة لكلا الصنفين، وهي بلا شك ألفاظ لها دلالاتها الخاصة التي لم تكن لتخفى على المخاطبين بها؟. كما أن الملاحظ هنا إن الإمام الحسين عليه السلام قد قرن الانتماء لأحد هذين الصنفين باتباعه كشخص(من لحق بي)، للدلالة على أنه يمثل هنا محور الاستقطاب الذي يوصل إلى بلوغ الفتح، وبعبارة أخرى هو امتداد ذلك الاستقطاب الذي مثله النبي صلى الله عليه وآله حين خاطبه الله (جلّ وعلا) بأنه قد فتح له ذلك الفتح المبين وأنب الذين تخلفوا عنه أشد تأنيب وأقساه. وسيأتي بيان هذا الإبدال في التمثيل بعد قليل.

٩- إن استقراء أحوال محمد بن الحنفية رضي الله عنه خلال وبعد كربلاء في المصادر الشيعية لا يكاد يعطي تعليلاً مقنعاً ومنطقياً لتخلفه عن الإمام الحسين عليه السلام، كما لا يعطي صورة واضحة عن موقفه فيما بعد، إذا ما استثنينا الرواية التي تتحدث عن احتكامه مع الإمام زين العابدين عليه السلام للحجر الأسود. بل إن هذه الرواية تزيد الطين بلة، وتسهم في تضبيب صورة وموقف محمد من مسألة الإمامة. فضلاً عن ذلك نلحظ في مصادرنا رغبة بتجاوز هذه المسألة بصورة سريعة دون إثارة الانتباه إليها!، أو تحاشي الحديث عنها والخوض في تفاصيلها، ربما لعدم وضوحها من الأساس أو لحساسية الخوض فيها!.

على أن هذه المسألة ألحت منذ وقت سابق على وعي بعض أصحاب الأئمة عليهم السلام،

وبعض علمائنا السابقين، فقد ورد أن حمزة بن حمران وهو أحد صحابة الإمام الصادق عليه السلام قال للإمام عليه السلام: ذكرنا خروج الحسين عليه السلام وتخلف ابن الحنفية عنه. فقال له الإمام الصادق عليه السلام: يا حمزة إني سأحدثك في هذا الحديث ولا تسئل عنه بعد مجلسنا هذا. إن الحسين لما فصل متوجها- أي من مكة إلى العراق- دعا بقرطاس وكتب: بسم الله الرحمن الرحيم. من الحسين بن علي إلى بني هاشم. أما بعد فإنه من لحق بي منكم استشهد معي، ومن تخلف لم يبلغ الفتح والسلام(٤٢).

ولعل هذا النص ينسف ما ذيل به نص نصيحة محمد بن الحنفية رضي الله عنه للإمام الحسين عليه السلام الذي يتحدث عن أن الإمام الحسين عليه السلام قال له: وأما أنت يا أخي فلا عليك أن تقيم بالمدينة فتكون لي عينا عليهم ولا تخف علي شيئا من أمورهم(٤٣). هذا فضلاً عن أن القراءة التاريخية للأحداث تبين عدم جدوى بقاء محمد لنقل الأخبار للإمام الحسين عليه السلام. وإذا ما تنزلنا عن ذلك وقلنا بأهميته خلال إقامة الإمام الحسين عليه السلام في مكة، فما الفائدة منه حين مغادرته إياها، وتصريحه مراراً وتكراراً بأنه سيقتل وستسبى عائلته؟!. فما فائدة نقل الأخبار له؟. وهل نقل له محمد إي منها؟. التاريخ لا يذكر ذلك مطلقاً. وعليه يبدو الراجح أن هذا الذيل ألحق في نص النصيحة كمحاولة للاعتذار عن تخلف محمد بن الحنفية رضي الله عنه عن أخيه الإمام الحسين عليه السلام.

ومن الاعتذارات غير المقنعة، التي إن أشرت على شيء فإنما تؤشر على الرغبة بطوي صفحة تخلف محمد بن الحنفية رضي الله عنه وعبد الله بن عباس عن الإمام الحسين عليه السلام دفعة واحدة دون التعريض بشخصيهما أو تخطئتهما، ما ورد من أن ابن عباس قال:" رأيت الحسين قبل أن يتوجه إلى العراق على باب الكعبة، وكف جبرئيل في كفه، وجبرئيل ينادي: هلموا إلى بيعة الله. وعُنف ابن عباس على تركه الحسين فقال: إن أصحاب الحسين لم ينقصوا رجلا ولم يزيدوا رجلا نعرفهم بأسمائهم من قبل شهودهم . وقال محمد بن الحنفية رضي الله عنه: وان أصحابه عندنا لمكتوبون بأسمائهم وأسماء آبائهم"(٤٤).

واضح أن هذا النص- سواء كان كائناً أو مكوناً- يعكس الشعور بحراجة موقف عبد الله بن عباس ومحمد بن الحنفية رضي الله عنه من الإمام الحسين عليه السلام، ويحاول الاعتذار لهما بشكل أو بآخر. ولكن اعتذاره يصطدم بسماكة النصوص المزدحمة التي تتحدث عن طلب الإمام


ISNN 1997-6208

الحسين عليه السلام النصرة من جل من التقى بهم، فضلاً عن خطاباته في مكة والمدينة ودعوته الناس لنصرته، وإلا لما كان له الحق في أن يقول:(من لحق بي استشهد ومن تخلف عني لم يبلغ الفتح)، ولكان طلبه النصرة من الناس لا مبرر له، ولكان كل من تخلف عنه معذورون في تخلفهم عنه، بل لعل مسايرة النص تسقط وجوب استجابة الجماعة الإسلامية لمبدأ وواجب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر الذي نهض به الإمام الحسين عليه السلام!.

ومن الاعتذارات التي تؤشر عدم التيقن أو التأكد من صحة موقف محمد بن الحنفية رضي الله عنه ما نقله العلامة المجلسي من:أن السيد مهنا بن سنان(ت٧٥٤هـ) سأل العلامة الحلي(ت٧٢٦هـ): ما يقول سيدنا في محمد بن الحنفية رضي الله عنه؟. هل كان يقول بإمامة زين العابدين عليه السلام؟. وكيف تخلف عن الحسين عليه السلام؟. وكذلك عبد الله بن جعفر؟. فأجاب العلامة الحلي: قد ثبت في أصل الإمامة أن أركان الايمان التوحيد والعدل والنبوة والإمامة، والسيد محمد بن الحنفية وعبد الله بن جعفر وأمثالهم أجل قدرا وأعظم شأنا من اعتقادهم خلاف الحق، وخروجهم عن الايمان الذي يحصل به اكتساب الثواب الدائم والخلاص من العقاب. وأما تخلفه عن نصرة الحسين عليه السلام فقد نقل أنه كان مريضاً، ويحتمل في غيره عدم العلم بما وقع على مولانا الحسين عليه السلام من القتل وغيره، وبنوا على ما وصل من كتب الغدرة إليه وتوهموا نصرتهم له(٤٥).

وهذا الاعتذار هو الآخر لا يسعف موقف محمد بن الحنفية رضي الله عنه، فلم يرد في كلامه مع الإمام الحسين عليه السلام التلميح أو الإشارة إلى أنه كان مريض؟!، فالنص السابق تحدث عن طلب الإمام عليه السلام منه البقاء ليكون عيناً له على الأمويين في المدينة؟!. وإلا لكان قال له: أنت مريض وأنا أرخص لك في البقاء. فضلاً عن ذلك هو قد لحق بالإمام عليه السلام إلى مكة في الليلة التي أراد الخروج منها إلى العراق، بمعنى أنه كان قادراً على التحرك والسفر، فضلاً عن أن الإمام عليه السلام قد استصحب معه من هم أضعف من محمد بن الحنفية رضي الله عنه كالنساء والأطفال؟.

أما أنه لم يكن يتوقع قتل الإمام عليه السلام، وأن أهل الكوفة سيفون له بما واعدوه في كتبهم، فهو اعتذار أوهى من الأول، وإلا فمحمد نفسه - بحسب نص نصيحته - يقول: إني أخاف أن تأتي مصرا أو جماعة من الناس فيختلفوا عليك، فمنهم طائفة معك وأخرى عليك فيقتتلون فتكون لأول الأسنة، فإذا خير هذه الأمة كلها نفسا وأبا وأما، أضيعها دما وأذلها

أهلا. بمعنى أنه لم يكن مطمئناً لوفاء أهل الكوفة، هذا فضلاً عن أن الإمام الحسين عليه السلام قد أخبره وجميع المسلمين بأنه سيقتل وسيمثل بجسده، وأن الله(جل وعلا) قد اختار له كربلاء ليؤدي بها هذا الدور الرسالي المحمدي الأصيل، وقد ورد أنه قام خطيباً في مكة فقال: "الحمد لله وما شاء الله ولا قوه إلا بالله. خط الموت على ولد آدم مخط القلادة على جيد الفتاة، وما أولهني إلى اسلافي اشتياق يعقوب إلى يوسف، وخير لي مصرع أنا لاقيه، كأني وأوصالي تقطعها عسلان الفلوات بين النواويس وكربلاء، فيملأن مني أكراشا جوفا وأجربة سغبا، لا محيص عن يوم خط بالقلم رضى الله رضانا أهل البيت نصبر على بلائه ويوفينا أجور الصابرين. لن تشذ على رسول الله لحمته وهي مجموعة له في حظيرة القدس تقر بهم عينه، وينجز بهم وعده. من كان باذلا فينا مهجته، وموطنا على لقاء الله نفسه فليرحل فإني راحل مصبحا إن شاء الله"(٤٦).

ومع افتراض أن كل ما سبق لم يرتق لمستوى تحذير محمد بن الحنفية رضي الله عنه بصورة جدية من أن أخاه الإمام الحسين عليه السلام سيخرج وسيقتل في كربلاء، فإن فيما ورد من حديث دار بينه وبين الإمام الحسين عليه السلام قبل مغادرة الأخير لمكة بساعات قلائل لا يترك مجالاً للشك في هذه الحقيقة، فضلاً عن أنه يزيد من وضع علامات الاستفهام حيال موقف ابن الحنفية. فقد ورد أن الإمام الحسين عليه السلام بعث إلى بني هاشم المتواجدين في المدينة- قبل خروجه إلى العراق بوقت قصير - فقدم عليه من خف معه من بني عبد المطلب وهم تسعة عشر رجلا ونساء وصبيان من اخوانه وبناته ونسائهم، وتبعهم محمد بن الحنفية رضي الله عنه فأدرك حسينا بمكة وأعلمه أن الخروج ليس له برأي يومه هذا فأبى الحسين أن يقبل، فحبس محمد بن علي ولده فلم يبعث معه أحدا منهم، حتى وجد حسين في نفسه على محمد وقال: أترغب بولدك عن موضع أصاب فيه؟. فقال محمد: وما حاجتي أن تصاب ويصابون معك وإن كانت مصيبتك أعظم عندنا منهم(٤٧).

ومع أن هذا النص لم يرد في المصادر الشيعية، إلا أن مؤداه متحقق على أرض الواقع، إذ لم يلتحق أي من أولاد محمد بن الحنفية رضي الله عنه مع عمهم الإمام الحسين عليه السلام. ولعل مما يرجح مؤداه -على أقل الفروض- أن الإمام الحسين عليه السلام كان قد خص أخاه محمد بن الحنفية رضي الله عنه وبني هاشم بكتابين ينمان عن عتب أو ألم وتوجع خفي من موقفهم - لعله

حال دون ظهوره أدب الأنبياء الذي تأدب به الإمام الحسين عليه السلام- فقد كتب الإمام الحسين عليه السلام من مكة إلى أخيه محمد بن الحنفية رضي الله عنه: بسم الله الرحمن الرحيم. من الحسين بن علي إلى محمد بن علي ومن قبله من بني هاشم. أما بعد فان من لحق بي استشهد ومن لم يلحق بي لم يدرك الفتح، والسلام(٤٨). أما الكتاب الثاني فقد نص على أن الإمام الحسين عليه السلام كتبه إلى محمد بن الحنفية رضي الله عنه من كربلاء، وقد جاء فيه: بسم الله الرحمن الرحيم. من الحسين بن علي إلى محمد بن علي ومن قبله من بني هاشم. أما بعد فكأن الدنيا لم تكن وكأن الآخرة لم تزل، والسلام(٤٩).

يلاحظ أن الكتاب الأول يشير إلى أن الإمام عليه السلام لم يعذر أياً من بني هاشم من اللحاق به وبضمنهم محمد بن الحنفية رضي الله عنه، بل رغبهم باللحاق به ونصرته لنيل الشهادة والفتح، تاركاً لهم حرية اتخاذ الموقف بحسب التزامهم الشرعي تجاهه، وهي طبيعة تعامل كان الإمام عليه السلام وكل أهل البيت عليهم السلام يتحركون من خلالها مع مجتمعهم وشيعتهم. أما الكتاب الثاني فيشير بوضوح لتوجع الإمام عليه السلام من تركهم للحاق به، وتفويتهم فرصة التنعم بالحياة الآخرة الدائمة طمعاً بالحياة الدنيا الزائلة!؟. ولعل إيجاز الكتب واختصارها بهذه الصورة يحيل لذلك أيضاً، سيما وأنها محاولات أخيرة لحضهم على الالتحاق به.

ويجدر الانتباه هنا إلى أن مقابلة الكتاب الأول، مع جواب الإمام الصادق عليه السلام لحمزة بن حمران حين قال له: ذكرنا خروج الحسين عليه السلام وتخلف ابن الحنفية عنه. فقال عليه السلام: يا حمزة إني سأحدثك في هذا الحديث ولا تسئل عنه بعد مجلسنا هذا. إن الحسين لما فصل متوجها دعا بقرطاس وكتب: بسم الله الرحمن الرحيم. من الحسين بن علي إلى بني هاشم. أما بعد فإنه من لحق بي منكم استشهد معي، ومن تخلف لم يبلغ الفتح والسلام(٥٠). فهذه المقابلة تشير إلى عدم وجود خصوصية لتخلف محمد بن الحنفية رضي الله عنه، وإلى أن هذا الكتاب بمثابة تقريع وعتب من موقف عموم المخاطبين، ويتأكد ذلك إذا ما ضممنا إليه شكوى الإمام الحسين عليه السلام بصورة علنية من قلة العدد و خذلان الناصر: ألا وأني زاحف بهذه الأسرة على قلة العدد، وكثرة العدو، وخذلة الناصر(٥١).

فضلاً عما سبق، يبدو أن استشفاف الإمام الحسن عليه السلام للمستقبل وعلمه النبوي به، قد ألح عليه بأن يوصي أخيه الإمام الحسين عليه السلام في لحظاته الأخيرة بالقول: يا أخي. أوصيك

بمحمد أخيك خيرا، فإنه جلدة ما بين العينين. ويوصي محمد بن الحنفية رضي الله عنه بأخيه الحسين عليه السلام فيقول: يا محمد. وأنا أوصيك بالحسين، كانفه و وازره(٥٢).

١٠- وإذا عدنا إلى حادثة الاحتكام إلى الحجر الأسود، فهي تنص على أن محمد بن الحنفية(رض) نازع الإمام زين العابدين عليه السلام منصب الإمامة، فقال له الإمام عليه السلام: يا عم. اتق الله ولا تدع ما ليس لك بحق، إني أعظك أن تكون من الجاهلين. إن أبي يا عم أوصى إلي قبل أن يتوجه إلى العراق، وعهد إلي في ذلك قبل أن يستشهد بساعة، وهذا سلاح رسول الله صلى الله عليه وآله عندي، فلا تتعرض لهذا، فإني أخاف عليك نقص العمر وتشتت الحال. إن الله عز وجل جعل الوصية والإمامة في عقب الحسين عليه السلام فإذا أردت أن تعلم ذلك فانطلق بنا إلى الحجر الأسود حتى نتحاكم إليه ونسأله عن ذلك. فانطلقا حتى أتيا الحجر الأسود، فقال الإمام زين العابدين عليه السلام لمحمد بن الحنفية رضي الله عنه: ابدأ أنت فابتهل إلى الله، وسله أن ينطق لك الحجر، فابتهل محمد في الدعاء وسأل الله ثم دعا الحجر فلم يجبه. فقال الإمام زين العابدين عليه السلام: يا عم. لو كنت وصيا وإماما لأجابك. فقال له محمد : فادع الله أنت يا ابن أخي وسله. فدعا الإمام عليه السلام بما أراد، ثم قال: أسألك بالذي جعل فيك ميثاق الأنبياء وميثاق الأوصياء وميثاق الناس أجمعين لما أخبرتنا من الوصي و الامام بعد الحسين عليه السلام؟. فتحرك الحجر حتى كاد أن يزول عن موضعه، ثم أنطقه الله عز وجل بلسان عربي مبين، فقال: اللهم إن الوصية والإمامة بعد الحسين ابن علي عليه السلام إلى علي بن الحسين عليه السلام. فانصرف محمد بن الحنفية رضي الله عنه وهو يتولى الإمام زين العابدين عليه السلام(٥٣).

وقد أضاف قطب الدين الراوندي (ت٥٧٣هـ) تعليقاً نصه: "وقيل: إن ابن الحنفية إنما فعل ذلك إزاحة لشكوك الناس في ذلك"(٥٤). ولكن يبدو أن نص الحادثة الذي نقلته المصادر المتقدمة لا يرجح هذا التأويل، بل هو إما ينص أو يشير لاشتباه الأمر بداية على محمد بن الحنفية رضي الله عنه نفسه، وظنه بأنه هو الإمام، وتمسكه بذلك حتى كلمه الحجر الأسود!. وهذا بحد ذاته يؤشر لضبابية موضوعة الإمامة وطرق تحصيلها عند محمد بن الحنفية رضي الله عنه نفسه فضلاً عن أولاده. وهو ما يقود للسؤال عن مدى تسليمه لإمامة أخيه الإمام الحسين عليه السلام من قبل،

ذلك التسليم الذي يفترض أن ينساق أمامه دون مناقشة تذكر؟. وبعبارة أخرى يجدر التساؤل هنا عن الحجة أو مدرك الاطمئنان أو الظن الذي استند إليه محمد في ادعاء الإمامة؟، وبالتالي مدى أحقية ذلك الادعاء وقناعته به؟، ومن ثم موقفه تجاه من قال بإمامته؟. صفوة القول: لا نكاد نجد في كل الاعتذارات والحيثيات المتقدمة تفسيراً منطقياً يعتد به لتخلف محمد بن الحنفية رضي الله عنه عن أخيه الإمام الحسين عليه السلام.

١١- العلامة الفارقة الأخرى في مسألة تخلف محمد بن الحنفية رضي الله عنه، هي عدم أمره لأي من أولاده بالالتحاق بعمهم الإمام الحسين عليه السلام، ويتضح من استقراء أحوال فرقة الكيسانية التي تزعمها ولده (عبد الله أبو هاشم) والتي قالت بإمامة محمد، بل وأنكرت وفاته وادعت غيابه وأنه هو المهدي(٥٥)، أنها أسهمت ببلورة شخصية محمد بن الحنفية رضي الله عنه التاريخية دوناً عن بقية أولاد الإمام علي عليه السلام على نحو التقابل مع شخوص الأئمة عليهم السلام. ولذلك نجد أبا هاشم عبد الله بن محمد بن الحنفية يقف قبالة الإمام الباقر عليه السلام، وهو في المسجد وحوله جماعة من الناس قد اختلفوا يأثرون عنه ويستفتونه، فحسده وشتمه وشتم أباه الإمام زين العابدين عليه السلام، وقال له: تدعون وصية رسول الله صلى الله عليه وآله بالأباطيل وهي لنا دونكم. فأقبل عليه الإمام الباقر عليه السلام غير مكترث، فقال : قل ما بدا لك. أنا ابن فاطمة وأنت ابن الحنفية، فوثب الناس على أبي هاشم يرمونه بالحصاة ويضربونه بالنعال حتى أخرجوه من المسجد(٥٦).

وكان واصل بن عطاء زعيم المعتزلة ومؤسس تواجدهم الفكري قد التقى أبا هاشم وأخذ عنه(٥٧). وكان من انحراف أبي هاشم عن أهل البيت عليهم السلام أنه ادعى الوصية والإمامة، وورثها لمحمد بن علي العباسي في الحميمة، بعد أن سقي السم بتدبير سليمان بن عبد الملك(٥٨). أما أخوه الحسن بن محمد بن الحنفية فكان هو الآخر مخالف لمذهب أهل البيت عليهم السلام وهو أول من تكلم بالإرجاء(٥٩). من خلال ما تقدم يبدو طبيعياً عدم اشتراك أولاد محمد بن الحنفية رضي الله عنه مع الإمام الحسين عليه السلام في كربلاء، فهم ينتمون لخط مغاير تماماً.

### ثانياً- نصيحة عبد الله بن عباس.

ورد أنه تباحث في أكثر من مرة مع الإمام الحسين عليه السلام بشأن ثورته وخروجه على يزيد، وأنه قدم بعض الخيارات التي لا تبتعد بمضمونها عما قدمه محمد بن الحنفية رضي الله عنه، وكان مما قاله:

يا ابن عم. إنك قد أرجف الناس أنك سائر إلى العراق، فبين لي ما أنت صانع؟. قال: إني قد أجمعت المسير في أحد يومي هذين إن شاء الله تعالى. فقال: إني أعيذك بالله من ذلك. أخبرني رحمك الله أتسير إلى قوم قد قتلوا أميرهم و ضبطوا بلادهم ونفوا عدوهم، فإن كانوا قد فعلوا ذلك فسر إليهم، وإن كانوا إنما دعوك إليهم وأميرهم عليهم قاهر لهم، وعماله تجبى بلادهم فإنهم إنما دعوك إلى الحرب والقتال، ولا آمن عليك أن يغروك و يكذبوك ويخالفوك ويخذلوك وأن يستنفروا إليك فيكونوا أشد الناس عليك. فقال له حسين وإني أستخير الله وأنظر ما يكون..... فلما كان من من الغد أتاه فقال: يا ابن عم إني أتصبر ولا أصبر. إني أتخوف عليك في هذا الوجه الهلاك والاستئصال. إن أهل العراق قوم غدر فلا تقربنهم. أقم بهذا البلد فإنك سيد أهل الحجاز، فإن كان أهل العراق يريدونك كما زعموا فاكتب إليهم فلينفوا عدوهم ثم أقدم عليهم، فإن أبيت الأن تخرج فسر إلى اليمن فإن بها حصونا وشعبا وهى أرض عريضة طويلة ولأبيك بها شيعة وأنت عن الناس في عزلة فتكتب إلى الناس وترسل وتبث دعاتك فإني أرجو أن يأتيك عند ذلك الذي تحب في عافية. فقال له الإمام عليه السلام: يا ابن عم إني والله لأعلم أنك ناصح مشفق ولكني قد أزمعت وأجمعت على المسير فقال له ابن عباس فإن كنت سائرا فلا تسر بنسائك وصبيتك فو الله إني لخائف أن تقتل كما قتل عثمان ونساؤه وولده ينظرون إليه. والله الذي لا إله إلا هو لو أعلم أنك إذا أخذت بشعرك وناصيتك حتى يجتمع على وعليك الناس أطعتني لفعلت ذلك[٦٠].

وبصورة عامة يلحظ على نصيحته أنها لا تختلف كثيراً - عن لم تكن متطابقة في مضامينها - مع نصيحة ابن الحنفية السابقة، ومع ذلك يمكن أن يسجل على هذه النصيحة المداخلات التالية:

١- يلحظ فيها التأكيد على قضية وصول المجتمع الكوفي إلى مرحلة توطين الأمور وطرد العامل الأموي، هي حجة واعتذار واهٍ، وإلا إن كانوا يملكون القدرة على فعل ذلك لما راسلوا الإمام الحسين عليه السلام. وهم بتلك المراسلة قد ألقوا عليه الحجة، فليس من المنطق أن يطالبهم الإمام عليه السلام حينها بان ينفوا أميرهم ويضبطوا بلادهم. فضلا عن ذلك لم يكن أمير الكوفة في ذلك الوقت بالشخص الذي يخشى منه بدليل أن أهل الكوفة ثاروا عليه وطردوه، وقد رفض هو مقاتلة الإمام؛ ولذا تدارك يزيد

ذلك وولى مكانه عبيد الله بن زياد. والروايات تنص عن حدوث استجابة مبدئية لمبعوث الإمام الحسين مسلم بن عقيل عليه السلام. اذن فرضية ابن عباس لحد الآن متحققة ولا جدوى من التعلل بعدم تحققها.

٢- فضلا عن ذلك فأن الإمام الحسين عليه السلام قد أخبر عن تحركه سواء تحققت هذه الإستجابة المبدئية أو لم تتحقق، إذ قال: خط الموت على ولد آدم مخط القلادة على جيد الفتاة، وما أولهني إلى اسلافي اشتياق يعقوب إلى يوسف. وخير لي مصرع انا لاقيه. كأني بأوصالي تقطعها عسلان الفلوات بين النواويس وكربلاء، فيملأن مني أكراشا جوفا وأجربة سغبا لا محيص عن يوم خط بالقلم رضى الله رضانا أهل البيت، نصير على بلائه ويوفينا أجور الصابرين. لن تشذ عن رسول الله لحمته، وهي مجموعة له في حظيرة القدس تقربهم عينه، وينجز بهم وعده. من كان باذلا فينا مهجته وموطنا على لقاء الله نفسه فليرحل معنا فإنني راحل غدا مصبحا أن شاء الله تعالى(٢). فهنا الإمام الحسين يتحدث بمعزل عن جميع الاحتمالات التي وضعها ا بن عباس وابن الحنفية وباقي الناصحين مما يعني أنها مهما بلغت من الرجاحة والوجاهة ما هي إلا هامش لا يلتفت له في حسابات التحرك. فضلاً عن أنهم يتحدثون عن توقعات وهو يتحدث عن نتائج يقينية متحققة.

كما أن منظور تلك الافتراضات يتحدث عن تهيئة أرضية لقيام حكومة سياسية في حين كانت جوابات الإمام الحسين عليه السلام وخطبه العامة سواء في المدينة أو مكة تتحدث عن القيام بمشروع إلهي يتجاوز مديات الحكومة السياسية والخلافة و غيرها. وهي أمور أثارها الإمام عليه السلام منذ عهد معاوية، فقد نص المؤرخون على أن والي المدينة رفع كتاباً لمعاوية أبلغه فيه بمكاتبة أهل الكوفة للإمام الحسين عليه السلام ودعوتهم له فكتب إليه معاوية: إن من أعطى الله صفقة يمينه وعهده لجدير بالوفاء. وقد أنبئت أن قوما من أهل الكوفة قد دعوك إلى الشقاق، وأهل العراق من قد جربت. قد أفسدوا على أبيك وأخيك. فاتق الله، واذكر الميثاق. فإنك متى تكدني أكدك. فكتب إليه الإمام عليه السلام: أتاني كتابك. وأنا بغير الذي بلغك عني جدير. والحسنات لا يهدي لها إلا الله، وما أردت لك محاربة، ولا عليك خلافا، وما أظن لي عند الله عذرا في ترك جهادك، ولا أعلم فتنة أعظم من ولايتك أمر هذه الأمة(٦٢).

وتجدد هذا التصريح عندما قدم معاوية المدينة لأخذ البيعة ليزيد، وصار يمدحه ويصفه بأحسن الأوصاف وينسبه لأفضل الأخلاق، فقاطعه الإمام عليه السلام قائلاً: هيهات هيهات يا معاوية!. فضح الصبح فحمة الدجى، وبهرت الشمس أنوار السرج، ولقد فضلت حتى أفرطت، واستأثرت حتى أجحفت، ومنعت حتى بخلت، وجرت حتى جاوزت، ما بذلت لذي حق من أتم حقه بنصيب، حتى أخذ الشيطان حظه الأوفر ونصيبه الأكمل. وفهمت ما ذكرته عن يزيد من اكتماله وسياسته لأمة محمد صلى الله عليه وآله، تريد أن توهم الناس في يزيد. كأنك تصف محجوبا أو تنعت غائبا، أو تخبر عما كان مما احتويته بعلم خاص، وقد دل يزيد من نفسه على موقع رأيه. فخذ ليزيد فيما أخذ به من استقرائه الكلاب المتهارشة عند التحارش، والحمام السبق لأترابهن، والقينات ذوات المعازف، وضروب الملاهي، تجده باصرا ودع عنك ما تحاول. فما أغناك أن تلقى الله بوزر هذا الخلق أكثر مما أنت لاقيه"[٦٣].

٣- من المستغرب أن يبدو في جميع تلك النصائح أنها كانت تتوقع بشكل شبه مؤكد أن أهل الكوفة سيغدرون بالإمام الحسين عليه السلام. وهو ما يشير لرغبة المؤسسة التدوينية بتحميل أهل الكوفة مسؤولية الغدر وقتل الإمام الحسين عليه السلام، حتى بات يعتقد عدم مشاركة جيوش شامية في كربلاء، وقيل أن المشاركين في قتل الإمام الحسين لم يكن بينهم شامي ولا حجازي!. وحقيقة الحال أن النصوص تشير لتواجد قطعات عسكرية شامية، فقد نص ابن أعثم على أن عبيد الله بن زياد: وضع لأهل الشام العطاء فأعطاهم ونادى فيهم بالخروج إلى عمر بن سعد ليكونوا أعوانا له على قتال الحسين، فكان زيد بن ركاب الكلبي في ألفين، والحصين بن نمير السكوني في أربعة آلاف، والمصاب الماري في ثلاثة آلاف ونصر بن حربة في ألفين[٦٤].

٤- تأكيد كلا النصيحتين (نصيحة محمد وعبد الله) على الاعتصام بالكعبة أو الذهاب إلى اليمن أو التنقل بين البلدان والحصون والجبال والصحاري، وقد مرت مناقشة هذه الفرضية. كما يلاحظ تشابه الرد ففي كلا الحالتين يشكره الإمام ويقول أنك ناصح مشفق أو ناصح وشفيق وكذلك أيضا كلاهما أكد على السؤال عن علة استصحاب النساء والأطفال. فلعل هناك خلطاً في هوية الناصح، أو أنهما تشاورا بهذا الأمر سوياً وخرجا بنفس النتائج و الفروض، وأرادا تركيزها من خلال تكرار

طرحها على الإمام عليه السلام.

٥- من الغريب أنه بعد كل ما بينه الإمام الحسين عليه السلام وأوقف عليه ابن عباس وغيره نجده يقول: والله الذي لا إله إلا هو لو أعلم أنك إذا أخذت بشعرك وناصيتك حتى يجتمع علي وعليك الناس أطعتني لفعلت ذلك!. وكأننا نلحظ الإصرار على الاعتذار والتبرير لابن عباس، وإلا لو كان هذا الود والحب والتعلق بالإمام الحسين عليه السلام صادر عن قناعة يقينية لكان هو أول الملتحقين بركابه، سيما وأنه قد خاطبه وغيره: من كان باذلا فينا مهجته موطنا لقاء الله نفسه فليرحل معنا. وعليه يبدو أن مديات علاقته بالإمام الحسين عليه السلام وقربه منه لم تكن تتجاوز البعد العاطفي العادي، والانتماء النسبي يفرض بطبيعة الحال هذا التعاطف، وإلا فهو لم يرق إلى درجة الاعتقاد اليقيني بأن الإمام الحسين إمام مفترض الطاعة وأنه أولى به من نفسه وهي الحالة التي تميز بها أنصاره في كربلاء بحيث ذابوا بالإمام وكانوا يستأنسون بالمنية دونه استئناس الطفل بمحالب أمه ويتمنى الفرد منهم أن يقتل ويذرى ويفعل به ذلك ألف مرة دونه!.

٦- من الغريب أيضا أن ابن عباس يقارن بين خشيته من قتل الإمام أمام نسائه واطفاله وبين مقتل عثمان. فهل هناك ثمة مقارنة بين الموقفين فضلا عن الشخصيتين؟!. فعثمان قتل دون أن يجرأ على أن يستل سيفه بوجه مهاجميه، في حين يسير الإمام لمنيته وهو يعلم بها مسبقا. وذاك قد قتل نتيجة لفساده واسرافه وعبثه بأموال المسلمين ودينهم ومصائرهم. في حين قدم الإمام نفسه وعائلته لإحياء الدين والسنة وحرية الناس. فضلا عن ذلك فعائلة الإمام الحسين عليه السلام لم تكن لتتفاجأ بالموقف، وإلا فهي تعلم أنها ستسبى وسيجري عليهم ما أخبرهم به الإمام عليه السلام. بمعنى أنهم كانوا مناطة بهم اتمام المرحلة الثانية من الثورة. وإلا فليس من المعقول أن يخبر الإمام عبد الله بن عباس ومحمد بن الحنفية رضي الله عنه وعموم المسلمين بأن الله شاء أن يراهن سبايا دون أن يخبر ذوات الشأن بذلك.

٧- يجب أن لا ننسى هنا نقطة مهمة جداً، وهي أن عبد الله بن عباس قد بايع يزيد

بالخلافة، فقد نص الطبري على انه أعطى بيعته للوليد بن عتبة في المدينة(٦٥). أي في بدايات طلب البيعة من المسلمين فيها، وقبل عزل الوليد بن عتبة وتولية عمرو بن سعيد الأشدق، وقبل لقاء عبد الله بن عباس بالإمام الحسين عليه السلام وتقديم النصح له!. وهو بذلك قد خرج عن دائرة نمطية التعاطي التي حددها الإمام الحسين عليه السلام (مثلي لا يبايع مثله)؟!. ونقل البسوي (ت٢٧٧هـ) مكاتبات أخرى جرت بين عبد الله بن عباس ويزيد بن معاوية، سجل فيها عبد الله بن عباس اعترافه الصريح بمبايعة يزيد، فكان مما قاله في أحد كتبه:" وذكرت وفائي وما عرفتني من حقك فإن يك ذلك كذلك فقد والله بايعتك ومن قبلك"(٦٦).

ولعل كتاب يزيد الذي أرسله لعبد الله بن عباس يخبره فيه بخروج الإمام الحسين عليه السلام إلى مكة، هو ما دفع عبد الله بن عباس للحاق بالإمام الحسين عليه السلام وتقديم تلك النصيحة، فقد ورد أن يزيد كتب لعبد الله بن عباس: يخبره بخروج حسين إلى مكة، وأن بعض رجالها منوه الخلافة، وعندك منهم خبرة وتجربة، فإن كان فعل فقد قطع واشج القرابة، وأنت كبير أهل بيتك والمنظور إليه فاكففه عن السعي في الفرقة. وضمن كتابه بعض الأبيات الشعرية، فكتب له عبد الله بن عباس: إني لأرجو أن لا يكون خروج الحسين لأمر تكرهه، ولست أدع النصيحة له في كل ما يجمع الله به الألفة وتطفى به النائرة(٦٧). وبالتالي ربما كان ابن عباس بحاجة لتبرير بيعته الضالة تلك، فكان أن حاول ذلك من خلال تقديمه تلك النصيحة للإمام الحسين عليه السلام.

٨- لاشك أسهم موقف (محمد بن الحنفية و عبد الله بن العباس) وتقديمهما النصائح أو خيارات المواجهة البديلة للإمام الحسين عليه السلام بتقنين مستوى الاستجابة المجتمعية الإسلامية - على الأقل ضمن القاعدة المؤيدة لهما - وفق متباينات: الحياد وعدم التدخل، أو الاكتفاء بتوجيه النصيحة والمشورة، أو التخلف وعدم الاكتراث وإن طلب الإمام عليه السلام المساندة والمناصرة، سيما إذا ما وضعنا بنظر الاعتبار تخلف عموم أولاد محمد بن الحنفية انتظاماً خلف زعامته الأبوية والدينية، وتخلف عموم أولاد العباسيين انتظاماً وراء زعامتهم العائلية المتمثلة بعبد الله بن العباس، ولذلك نجد يزيد يراسله قائلاً (..، وأنت كبير أهل بيتك والمنظور إليه). وعلى نطاق أوسع،

ابتعاد هذا التأثير ليشمل شرائح متنوعة من الجماعة الإسلامية حينها، عملاً بمنظور ارتداد كثير من فواعل الحراك المجتمعي العربي لأواصر ومقتضيات العلاقة والقرابة والنسب بعلاقة طردية يوجزها قول الشاعر ابن المقرب العيني(٥٧٢-٦٣١هـ):

إذا فاتـك الأدنى الـذي أنـت حزبـه فـلا عجبـا إن أسـلمتك الأباعـد[٦٨]

بعبارة أخرى تأثير تخلف هذين الشخصين - مع ملاحظة المكانة الاجتماعية التي يتمتعان بها - لم يكن ليقف عند حدود تخلفهما فقط، إنما يتعداه لمن تأثر بموقفهما أو تابعهما عليه أو سلك مسلكهما فقدم هو الآخر نصائح أو اعتراضات على خروج الإمام عليه السلام، ولعل هذا ما يفسر ارتفاع نسبة النصائح والناصحين، إلا إذا افترضنا أن قسماً من تلك النصائح قد شُكل تاريخيا لإضعاف موقف الثورة ومتبنياتها العقدية والفكرية، وتصحيح مسلك الحكومة الأموية وتعاملها مع الإمام وصحابته وأهل بيته عليهم السلام،اعتماداً على الرفض أو التخلف أو الحياد المجتمعي الواسع إزاء التحرك. ولكن هذا الافتراض يتطلب حجج اسناد قوية، تتساوى - إن لم تكن ترجح- على الاعتقاد بأن تلك النصائح هي فعلاً صور كائنة لا مكونة.

**ثالثاً- نصيحة عبد الله بن عمر بن الخطاب.**

ورد أنه عندما عاد من أداء العمرة إلى المدينة، التقى بالإمام الحسين عليه السلام وعبد الله بن الزبير، فقال لهما: أذكركما الله إلا رجعتما فدخلتما في صالح ما يدخل فيه الناس. تنظرا فإن اجتمع الناس عليه لم تشذا، وإن افترق عليه كان الذي تريدان. وقال للإمام عليه السلام: لا تخرج فإن رسول الله صلى الله عليه وآله خيره الله بين الدنيا والآخرة فاختار الآخرة، وإنك بضعة منه ولا تعاطها - يعني الدنيا - فاعتنقه وبكى وودعه فكان ابن عمر يقول غلبنا حسين بن علي بالخروج. ولعمري لقد رأى في أبيه وأخيه عبرة ورأى من الفتنة وخذلان الناس لهم ما كان ينبغي له أن لا يتحرك ما عاش، وأن يدخل في صالح ما دخل فيه الناس فإن الجماعة خير[٦٩]. وهذه النصيحة تتفق والنمطية التاريخية المعروفة لشخصية عبد الله بن عمر. ويمكن أن نسجل عليها الملاحظات التالية:

١- ابن عمر يدعي اجتماع الناس على يزيد، ويحاول أن يروج لمفهوم اختيار الأمة!. وهو في الحقيقة مجانبة للواقع فمعاوية قد أخذ البيعة ليزيد قهرا وببذل المال السياسي لمن يخشى منه النكث حتى. فقد ورد أنه قدم إليه وفد يدعونه إلى تولية يزيد كان قد

أرسلهم المغيرة وأرسل معهم ولده عروة، فدخلوا على معاوية وخطبوا وذكروا أنه إنما أشخصهم إليه التيه والنظر لأمة محمد صلى الله عليه وآله وقالوا: يا أمير المؤمنين. كبرت سنك وتخوفنا الانتشار من بعدك. يا أمير المؤمنين. اعلم لنا علم وحد لنا حدا ننتهي إليه. قال: أشيروا علي. قالوا: نشير عليك بيزيد. قال: وقد رضيتموه. قالوا: نعم. قال: وذاك رأيكم. قالوا: نعم، ورأي من بعدنا. فأصغى إلى عروة وهو أقرب القوم منه مجلسا فقال: الله أبوك!. بكم اشترى أبوك من هؤلاء دينهم؟. قال: بأربعمائة. قال: لقد وجد دينهم عندهم رخيصا(٧٠).ودل يزيد على خلافته وأبيه يوم نصبه ولياً لعهده، وجعل الناس يمدحونه ويقرضونه فقال: يا أمير المؤمنين. والله ما ندري أنخدع الناس أم يخدعوننا؟. فقال معاوية: كل من أردت خديعته فتخادع لك، حتى تبلغ منه حاجتك، فقد خدعته(٧١). إذن فمعاوية ويزيد يعترفون أن حكمهم خداع واستغفال للناس وتسلط عليهم بالقوة والمال. ثم أليس عبد الله بن عمر نفسه وعبد الله بن الزبير وابن عباس قد أجبروا على البيعة بحسب تعليمات يزيد للوليد بن عتبة واليه في المدينة. ألم تؤخذ البيعة قهراً من أهل المدينة بعد واقعة الحرة ومن أبى يقتل. فعن أي اجماع يتحدث ابن عمر؟!. وأي اجماع هذا الذي باتت فيه الأمة متقاعسة تشترى ذممها بالأموال وتستكين فيه لمنطق القوة والسيف.

٢- هناك نقطة هامه في قول ابن عمر، وهي محاولته تصوير الإمام الحسين على أنه خارج للدنيا!. إذ يقول: (أن رسول الله صلى الله عليه وآله اختار الآخرة.. وإنك بضعة منه ولا تعاطها). وهو أمر فيه مغالطة كبيرة، فشعار الإمام عليه السلام واضح تمام الوضوح وهو طلب الإصلاح. ولو كان يريد الدنيا لبذل له يزيد ما يريد منها على أن يبايعه. ولو كان يريد الدنيا لغير استراتيجيات الخروج، ولم يعرض نفسه وعياله لمثل هذا الموقف. ولو كان للدنيا لبذل المال السياسي واستخدم الالتواء لكسب الأنصار. وإلا فالإمام عليه السلام كان يترفع عن أن يكون أحد ممن يؤيده من الذين يريدون الدنيا؛ لذا نراه وهو في الطريق إلى كربلاء قد لحقه جمع من الناس وهم يظنون أنه ذاهب لحكم العراق، فوقف وبين لهم حقيقة خروجه ليكونوا على بصيرة من خروجهم. مما أدى إلى تفرقهم عنه، ووقف عارضا على أصحابه أن يتركوه ليلة استشهاده. بل إنه في كربلاء قد عرض عليه ان يرسل إلى يزيد ويحفظ حياته إلا أنه لم يرتض

ذلك، وصرح بالرفض بكلمته المدوية: ألا وأن الدعي ابن الدعي قد ركز بين اثنتين بين السلة والذلة و هيهات منا الذلة. ثم إن أهل البيت عليهم السلام ليسوا مسؤولين عن خذلان الناس لهم، وإنما خذلان الناس لأهل البيت عليهم السلام هو جناية يجب أن يتحمل تبعاتها الناس المتخاذلون، وهو واحد منهم إذ لو كان صادقا لكان عليه أن يستغل نفوذه لصالح الإمام الحسين عليه السلام، لا لتخذيل الناس عنه. ولكن كلام ابن عمر له غاية لا تنفك عن بداية الإنحراف الذي حدث والذي ارتبط بصناع قرار السقيفة وبيعة الأول. بمعنى الاستكانة لطريقة تحصيل الخلافة بالقوة والترهيب و الترغيب.

٣- وعلى هذا المنوال تندرج نصيحة أبو سعيد الخدري الذي قال للإمام عليه السلام: اتق الله في نفسك، والزم بيتك فلا تخرج على إمامك[٧٢]. ونصيحة أبو واقد الليثي الذي قال: بلغني خروج حسين فأدركته فناشدته الله أن لا يخرج فإنه يخرج في غير وجه خروج إنما يقتل نفسه[٧٣]. وما نسب لجابر بن عبد الله الأنصاري أنه قال: كلمت حسينا فقلت اتق الله ولا تضرب الناس بعضهم ببعض فو الله ما حُمدتم ما صنعتم[٧٤]. وهكذا هي عموم النصائح التي قدمت للإمام الحسين عليه السلام، نجدها تركز على استقراء واقع سياسي واضح ليس بخفي على الإمام الحسين عليه السلام ولا على أي من أبناء الأمة الإسلامية حينها، كما أنها تعكس تجاذب متباينة التخلف عن ندائه النبوي الإسلامي الأصيل، والرغبة في الاعتذار عن هذا التخلف وتبريره بصورة أو بأخرى.

**نداءات و ردود الإمام الحسين عليه السلام على الناصحين:**

مما يلحظ في تلك الحوارات والخطب أن الإمام الحسين عليه السلام وظف كلمات ومفاهيم و مضامين قرآنية، لا شك تريد الذهاب لأبعد من صورتها الوصفية و اللفظية. بمعنى أن دلالاتها تتعمق بالعودة لحاضنتها القرآنية، وكأنه يطلب من أولئك الناصحين أن يقابلوها قرآنياً وهي مقابلة تقدم حقيقة صادمة، وتغير كثيراً من مسارات التقييم لمواقف المتخاذلين من عموم المسلمين حينها. إذ نجد الإمام عليه السلام يركز على مفردات (الشهادة/ التخلف/الفتح) عبر (من لحق بي استشهد ومن تخلف عني لم يبلغ الفتح).

أولاً: الشهادة. أكد الإمام عليه السلام على نتيجة خروجه بأنها الشهادة لا محال. وهي كمفهوم أو كموضوعة واضحة ومفصلة في نصوص القرآن الكريم. ولكن ما يجدر الالتفات إليه هنا

نقطتان هما:

١- أن الإمام عليه السلام يصقع عموم المسلمين بأنه إن كان هو ومن يلحق به شهداء، فإن من يقاتلهم لاشك من أهل النار. وبذلك يقطع الطريق على من يظن أنهم مسلمين أو يستشكل في الخروج عليهم ومقاتلتهم، هذا بغض النظر عن أقوال الإمام الحسين عليه السلام الصريحة الأخرى في هذا المقام. ولابد هنا أن نستصحب أقوال النبي صلى الله عليه وآله بحق الإمام الحسين عليه السلام ومنها قوله: "حسين مني وأنا من حسين أحب الله من أحب حسينا. حسين سبط من الأسباط"(٧٥). وغيرها من الأحاديث النبوية، فضلاً عن العديد من الآيات القرآنية التي نزلت بحق أهل البيت عليهم السلام، والتي تنتظم على اعتابها آيتي التطهير والمباهلة.

الملاحظ للأسف أن العديد منا نظر للإمام الحسين عليه السلام بمعزل عن كونه امتداد للنبي صلى الله عليه وآله وبالتالي نظر ليزيد وبني أمية وأشياعهم بمعزل عن كونهم امتداد للمشركين والمنافقين. للأسف نُظر للإمام عليه السلام وكأنه محور مقاومة آني ضد يزيد وأتباعه، وهي نظرة لاشك خاطئة وظالمة ومجحفة جداً، أراد لنا مزوري التاريخ وعلماء الضلالة أن نستطلع ونقرأ ونفهم ونرى الأحداث من خلالها. وللأسف لعلها هي الزاوية التي نظر من خلالها من تخلف عن الإمام الحسين عليه السلام حينها؛ فتزاحمت عندهم الصور وارتبكت عندهم المفاهيم بين نصرة النبي وحفيده والإمام الشرعي للأمة وبين طاعة الخليفة الوضعي مع كل ما يمثله من ارث جاهلي ونفاق وشرك وانحطاط بشري!. بل أن العديد منهم - سواء من أنصار يزيد وجيشه أو من لم يشاركهم أي المتخلفين- كان يرى التوازن الشرعي بين الاثنين. ولعل هذا ما تفصح عنه بعض أقوال الناصحين، كقول عبد الله بن عمر(كان ينبغي لحسين أن يدخل في صالح ما دخل فيه الناس فإن الجماعة خير. وقول أبو سعيد الخدري (اتق الله في نفسك والزم بيتك فلا تخرج على إمامك). وقول أبو واقد الليثي: (إنه يخرج في غير وجه خروج إنما يقتل نفسه). وكذلك مبايعة عبد الله بن عباس ليزيد وجوابه على كتابه الذي بعثه له: (إني لأرجو أن لا يكون خروج الحسين لأمر تكرهه، ولست أدع النصيحة له في كل ما يجمع الله به الألفة وتطفى به النائرة). بل إن إقدام الناس على مبايعة يزيد وتركهم للإمام الحسين عليه السلام هي العلامة الفارقة التي عدها الإمام عليه السلام نقطة الفصل بينه وبين منهجه الإسلامي المحمدي

وبين من تخلى عنه وعن ذلك الإسلام فبايع يزيد مع ما يعلمه منه (مثلي لا يبايع مثله).

٢- يؤكد الإمام عليه السلام أن هذه الشهادة من اختيار الله(جل وعلا): (وخير لي مصرع أنا لاقيه). وهنا لابد أن نقابل هذه العبارة بقوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا مُبِينًا﴾ الأحزاب/٣٦. وقوله تعالى: ﴿وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ مَا كَانَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ سُبْحَانَ اللَّهِ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾. القصص/٦٨. إذن الإمام الحسين عليه السلام لاشك يلمح لهذه النصوص و المضامين القرآنية. ولكن يبدو أن المسلمين حينها - سيما الناصحين- قد أضاعوا بوصلة الرؤية والتفكير، فمرت هذه الكلمات والاشارات دون أن تستشعرها قلوبهم أو تدركها أبصارهم. أو أنهم أدركوها وعرفوها ولكن غلب عليهم حب الدنيا فجحدوا بها واستيقنتها أنفسهم.

## ثانياً- التخلف (ومن تخلف عني).

باستصحاب منظور تمثيل الإمام الحسين عليه السلام الامتداد الطبيعي/ المادي، الروحي، الديني للنبي صلى الله عليه وآله. لابد أن نلتفت حينها لتماثل التخلف مع التخلف عن النبي صلى الله عليه وآله وبذلك تتغير زاوية النظر لموقف المتخاذلين عن الإمام عليه السلام لتنفرج على أقصى حد لها. وإذا ما استقرأنا واقع وموقف المتخلفين عن النبي صلى الله عليه وآله في القرآن، نصل إلى نقطة الفرز بين الفئتين التي أراد الإمام عليه السلام الإشارة إليها من خلال توظيف هذه المفردة. ولنحاول تتبعها وفق المعطيات التالية:

١- وردت مفردة التخلف/المخلفون. في سورة التوبة/ سورة براءة. وهذا الاختيار بحد ذاته يريد الوصول بنظر وتفكير المعاصرين إلى أجواء هذه السورة وأنه بمثابة التطبيق العملي لاتخاذ الموقف وفق معطياتها!. فكلام المعصوم واختياره لألفاظه لابد يتوخى موازين دقيقة جداً تحتاج لإمعان النظر والأناة في قراءتها واستنطاقها، وإلا فاكتفائه عند وصوله كربلاء، وكتابته لبني هاشم بقوله: فكأن الدنيا لم تكن وكأن الآخرة لم تزل والسلام. ليُقرأ بما يتجاوز مديات النص الظاهرية.

٢- تبتدئ السورة بإعلان البراءة من المشركين. ﴿بَرَاءَةٌ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ إِلَى الَّذِينَ عَاهَدْتُمْ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ التوبة/١. والإمام الحسين عليه السلام قد ابتدأ نهضته وثورته بإعلان تبريه من

خلافة يعتلي سدة الحكم فيها شخص مثل يزيد: (مثلي لا يبايع مثله). كما يستفاد من التزامه جانب السكون في عهد معاوية، أنه كان يعمل بمبدأ الالتزام بالعهد وبنود الصلح التي عقدت بين الإمام الحسن عليه السلام ومعاوية، وإن كان الأخير قد أعلن منذ اليوم الأول عدم التزامه بأي منها، ونقضها واحداً تلو الآخر. ولكن الإمام عليه السلام التزم من جانبه بها، حتى نقض البند الأخير القاضي بعدم تسليم الخلافة لأحد من بعده فنقضه بالبيعة لولده يزيد.

٣- ثم تنتقل السورة لبيان حيثيات التعاهد والالتزام، والحث على قتال أئمة الكفر والمشركين؛ لأنهم لا يرقبون في المؤمنين إلاً ولا ذمة وأن طبيعتهم الظلم والاعتداء. ومن ثم تحث المؤمنين على قتال أولئك المشركين والكفار، وتقرعهم على ترك مجاهدتهم والاستجابة لأمر الله والنبي صلى الله عليه وآله. وأن هذا الأمر بمثابة الامتحان والاختبار للمؤمنين لتمحيص إيمانهم والتزامهم بأوامر الله ورسوله وطاعتهم لها. ﴿أَلَا تُقَاتِلُونَ قَوْمًا نَكَثُوا أَيْمَانَهُمْ وَهَمُّوا بِإِخْرَاجِ الرَّسُولِ وَهُمْ بَدَءُوكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ أَتَخْشَوْنَهُمْ فَاللَّهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَوْهُ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ * قَاتِلُوهُمْ يُعَذِّبْهُمُ اللَّهُ بِأَيْدِيكُمْ وَيُخْزِهِمْ وَيَنْصُرْكُمْ عَلَيْهِمْ وَيَشْفِ صُدُورَ قَوْمٍ مُؤْمِنِينَ * وَيُذْهِبْ غَيْظَ قُلُوبِهِمْ وَيَتُوبُ اللَّهُ عَلَى مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ * أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تُتْرَكُوا وَلَمَّا يَعْلَمِ اللَّهُ الَّذِينَ جَاهَدُوا مِنْكُمْ وَلَمْ يَتَّخِذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلَا رَسُولِهِ وَلَا الْمُؤْمِنِينَ وَلِيجَةً وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾. التوبة/١٣-١٦.

ويجدر الانتباه هنا إلى أن الآيات الكريمة تحيل الوعي الإسلامي لطبيعة الموقف المتشنج والرافض الذي اتخذته قريش المشركة من النبي صلى الله عليه وآله والمسلمين، وأنها أخرجتهم من مكة عدواناً عليهم وقطعاً لكل أواصر العلاقات النسبية والحسبية والأعراف والعهود والتقاليد المتعامل بها سابقاً، لانهم اختاروا طريق الهداية، أو لطبيعة الموقف المتشنج والحاسد الذي اتخذه اليهود من النبي صلى الله عليه وآله مسلمي المدينة، وكيف أنهم نقضوا عهودهم مع النبي صلى الله عليه وآله وهموا بإخراجه من المدينة، وبدأوا الاعتداء على الجماعة الإسلامية عبر التعاون مع قريش المشركة في الأحزاب وغيرها.

وطبيعة هذه العلاقة المتشنجة كانت حاضرة بين محوري الاصطفاف خلال تحرك الإمام الحسين عليه السلام، فهنا تنتظم الجماعة المسلمة الصالحة تحت زعامة الإمام عليه السلام، وهناك تنتظم

الجماعة المشركة الفاسدة الرافضة لمبادئ الإسلام تحت زعامة الحزب القرشي المشرك ممثلاً ببني أمية، وهم قد مارسوا نفس الدور الذي مارسه أسلافهم، فهموا بإخراج الإمام عليه السلام من بيته وأهله ومدينة جده صلى الله عليه وآله وهموا بقتله. فقد كانت أوامر يزيد لواليه على المدينة(الوليد بن عتبة بن أبي سفيان) واضحة جداً: (خذ حسيناً وعبد الله بن عمر وعبد الله بن الزبير بالبيعة أخذاً شديداً ليست فيه رخصة حتى يبايعوا[٧٦]. وكذلك تعليماته للحر الرياحي وجماعته: (وقد أمرنا إذا نحن لقيناك ألا نفارقك حتى نقدمك على عبيد الله بن زياد)[٧٧]. وكذلك أمره (أما بعد، فجعجع[٧٨] بحسين حيث يبلغك كتابي، ويقدم عليك رسولي، ولا تنزله إلا في العراء في غير حصن وعلى غير ماء)[٧٩]. وقد نبه الإمام الحسين عليه السلام الوعي الإسلامي على يزيد وبني أمية واشياعهم مصممون على قتله أينما توجه (وأيم الله لو كنت في جحر هامة من هذه الهوام لاستخرجوني حتى يقضوا في حاجتهم، والله ليعتدن عليَّ كما اعتدت اليهود في السبت[٨٠]. وبين هذين المحورين كانت خطابات الإمام عليه السلام وذكره لهذه الجزئيات القرآنية تريد استثارة الجماعة الواقفة بين قطبي الاصطفاف للانضمام إليه، عملاً بمقتضيات ضرورة الاستجابة لمثل النبي صلى الله عليه وآله والإسلام ومقابلة كلامه مع سابق العرض القرآني وبيانه للحالة التي كانت عليها الجماعة الإسلامية في زمن النبي صلى الله عليه وآله.

٥- ثم تركز على بيان ميزة المؤمنين المستجيبين لتلك الأوامر، وما سيجنونه بالمقابل من تلك الاستجابة. ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ أَعْظَمُ دَرَجَةً عِنْدَ اللَّهِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْفَائِزُونَ * يُبَشِّرُهُمْ رَبُّهُمْ بِرَحْمَةٍ مِنْهُ وَرِضْوَانٍ وَجَنَّاتٍ لَهُمْ فِيهَا نَعِيمٌ مُقِيمٌ * خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ﴾. التوبة/٢٠-٢٢. وهي مسألة طالما أسهب الإمام الحسين عليه السلام ببيان حيثياتها ونتائجها، ومنها قوله: (من لحق بي استشهد ومن تخلف عني لم يدرك الفتح) وقوله (كان الدنيا لم تكن وكأن الآخرة لم تزل). وقوله: (نزل من الأمر ما ترون، وإن الدنيا قد تغيرت وتنكرت وأدبر معروفها فلم يبق منها إلا صبابة كصبابة[٨١] الإناء، وخسيس عيش كالمرعى الوبيل[٨٢]. ألا ترون أن الحق لا يعمل به، وأن الباطل لا يتناهى عنه!، ليرغب مؤمن في لقاء ربه، فإني لا أرى الموت إلا شهادة/سعادة، والحياة مع الظالمين إلا برما[٨٣].

٦- ومن ثم تسهب الآيات بتأنيب وتقريع أولئك المتخلفين، وتستعرض أسباب وحجج

تخلفهم الواهية ونتائجها: ﴿يا أيها الذين آمنوا ما لكم إذا قيل لكم انفروا في سبيل الله اثاقلتم إلى الأرض أرضيتم بالحياة الدنيا من الآخرة فما متاع الحياة الدنيا في الآخرة إلا قليل. . . إلا تنفروا يعذبكم عذابا أليما ويستبدل قوما غيركم ولا تضروه شيئا والله على كل شيء قدير. . . انفروا خفافا وثقالا وجاهدوا بأموالكم وأنفسكم في سبيل الله ذلكم خير لكم إن كنتم تعلمون. . . لو كان عرضا قريبا وسفرا قاصدا لاتبعوك ولكن بعدت عليهم الشقة وسيحلفون بالله لو استطعنا لخرجنا معكم يهلكون أنفسهم والله يعلم إنهم لكاذبون. . . لا يستأذنك الذين يؤمنون بالله واليوم الآخر أن يجاهدوا بأموالهم وأنفسهم والله عليم بالمتقين. . إنما يستأذنك الذين لا يؤمنون بالله واليوم الآخر وارتابت قلوبهم فهم في ريبهم يترددون. . . ولو أرادوا الخروج لأعدوا له عدة ولكن كره الله انبعاثهم فثبطهم وقيل اقعدوا مع القاعدين. . . فرح المخلفون بمقعدهم خلاف رسول الله وكرهوا أن يجاهدوا بأموالهم وأنفسهم في سبيل الله وقالوا لا تنفروا في الحر قل نار جهنم أشد حرا لو كانوا يفقهون. . .فليضحكوا قليلا وليبكوا كثيرا جزاء بما كانوا يكسبون. . .وإذا أنزلت سورة أن آمنوا بالله وجاهدوا مع رسوله استأذنك أولو الطول منهم وقالوا ذرنا نكن مع القاعدين. . رضوا بأن يكونوا مع الخوالف وطبع على قلوبهم فهم لا يفقهون. . . لكن الرسول والذين آمنوا معه جاهدوا بأموالهم وأنفسهم وأولئك لهم الخيرات وأولئك هم المفلحون. . . أعد الله لهم جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها ذلك الفوز العظيم﴾. التوبة/٣٨-٨٩.

وباستصحاب تمثيل الإمام(ع) للنبي(ص)، وتركيزه على اختيار تلك الألفاظ والمداليل القرآنية، لاشك إذن تحاكي حالة وموقف التخلف الذي اتخذ تجاه الإمام(ع) مثيله الذي اتخذ تجاه النبي(ص) وحكاه القرآن الكريم في هذه الآيات الكريمة. بمعنى أن الإمام(ع) كان يريد من السامعين أن ينتقلوا لأجواء هذه الآيات الكريمة، ويقارنوا موقفهم منه بموقف أولئك من النبي(ص). فهم قد تثاقلوا عن نصرته ورضوا بالحياة الذليلة تحت حكم يزيد، هرباً من الشهادة والجهاد في سبيل الله بالأموال والأنفس.

٧- أما تمسكنا في البحث عن أعذار للبعض فلربما يصدم هو الآخر ببيان النص القرآني للفئات المعذورة من أولئك المتخلفين. ﴿وجاء المعذرون من الأعراب ليؤذن لهم وقعد الذين كذبوا

اللَّهَ وَرَسُولَهُ سَيُصِيبُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ . . لَيْسَ عَلَى الضُّعَفَاءِ وَلَا عَلَى الْمَرْضَى وَلَا عَلَى الَّذِينَ لَا يَجِدُونَ مَا يُنْفِقُونَ حَرَجٌ إِذَا نَصَحُوا لِلَّهِ وَرَسُولِهِ مَا عَلَى الْمُحْسِنِينَ مِنْ سَبِيلٍ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ . . . وَلَا عَلَى الَّذِينَ إِذَا مَا أَتَوْكَ لِتَحْمِلَهُمْ قُلْتَ لَا أَجِدُ مَا أَحْمِلُكُمْ عَلَيْهِ تَوَلَّوْا وَأَعْيُنُهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ حَزَنًا أَلَّا يَجِدُوا مَا يُنْفِقُونَ . . . إِنَّمَا السَّبِيلُ عَلَى الَّذِينَ يَسْتَأْذِنُونَكَ وَهُمْ أَغْنِيَاءُ رَضُوا بِأَنْ يَكُونُوا مَعَ الْخَوَالِفِ وَطَبَعَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ . . . يَعْتَذِرُونَ إِلَيْكُمْ إِذَا رَجَعْتُمْ إِلَيْهِمْ قُلْ لَا تَعْتَذِرُوا لَنْ نُؤْمِنَ لَكُمْ قَدْ نَبَّأَنَا اللَّهُ مِنْ أَخْبَارِكُمْ وَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ ثُمَّ تُرَدُّونَ إِلَى عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾. التوبة/٩٠-٩٤. كما ويصدم بعدم وجود ما يدل على توفر الأسباب الموجبة للعذر كما في الآيات القرآنية، بدليل أن الإمام عليه السلام لم يشر إلى عذره لأي من أولئك الناصحين خلال حديثه معهم، لأنه مريض أو ضعيف أو أعمى أو لا يجد ما ينفق أو غيرها من الأسباب التي تجعله يتأخر عن الالتحاق بإمامه الشرعي المفترض الطاعة.

## ثالثاً: مفهوم الفتح (ومن تخلف عني لم يدرك الفتح).

لا تبتعد مضامين وحيثيات مفهوم الفتح التي استعرضها القرآن الكريم عما توخاه الإمام الحسين عليه السلام في حراكه الثوري، وما أراد من المسلمين وبمقدمتهم الناصحين أن يفهموه ويستشعروه من خلال جزئيتي ردوده السابقة (الشهادة/التخلف). فسورة الفتح تتحدث عن ذات الموضوع، وهو حض المؤمنين على الالتحاق بالنبي صلى الله عليه وآله والجهاد معه، وعدم التخلف عنه، وأن جزاء ذلك سيكون الفتح الذي بسطت الآيات حيثياته وفق التراتب التالي:

١- تبتدئ السورة ببيان ماهية الفتح المبين، وتفرز بين أصناف وفئات من الجماعة الإسلامية وخارجها(المؤمنين/المؤمنات- المنافقين/المنافقات- المشركين/المشركات- الظانين بالله ظن السوء) وهي فئات ونمطيات مجتمعية وعقدية كانت حاضرة وفاعلة وفق هذا التراتب والتباين في اطار الحدث الكربلائي وفرزه لأصناف متعددة من الجماعة الإسلامية. قال تعالى: ﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُبِينًا . . لِيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ وَيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ وَيَهْدِيَكَ صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا . . وَيَنْصُرَكَ اللَّهُ نَصْرًا عَزِيزًا . . هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ السَّكِينَةَ فِي قُلُوبِ الْمُؤْمِنِينَ لِيَزْدَادُوا إِيمَانًا مَعَ إِيمَانِهِمْ وَلِلَّهِ جُنُودُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا . . لِيُدْخِلَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَيُكَفِّرَ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَكَانَ ذَلِكَ عِنْدَ اللَّهِ فَوْزًا

عَظِيمًا . وَيُعَذِّبَ الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتِ وَالْمُشْرِكِينَ وَالْمُشْرِكَاتِ الظَّانِّينَ بِاللَّهِ ظَنَّ السَّوْءِ عَلَيْهِمْ دَائِرَةُ السَّوْءِ وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَلَعَنَهُمْ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا ﴾. الفتح/١-٦.

٢- ثم تنتقل الآيات لتبين واجبات المؤمنين تجاه النبيﷺ، وضرورة انتظامهم لأمره ونصرته ومواساته، وضرورة مبايعته والالتزام بمضامين تلك البيعة وعدم نكثها، وأن من ينكثها فإنما ينكث بيعته لله أولاً، أما من سيفي ببيعته فسيدخل ضمن اطار الجماعة التي فتح لها الفتح المبين. قال تعالى: ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا . لِتُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُعَزِّرُوهُ وَتُوَقِّرُوهُ وَتُسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا . إِنَّ الَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللَّهَ يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ فَمَنْ نَكَثَ فَإِنَّمَا يَنْكُثُ عَلَى نَفْسِهِ وَمَنْ أَوْفَى بِمَا عَاهَدَ عَلَيْهُ اللَّهَ فَسَيُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا ﴾. الفتح/٨-١٠.

٣- ثم تنتقل لتتحدث عن فئة المتخلفين عن أمر الله وأمر النبيﷺ، ومحاولاتهم الذرائعية الكاذبة والواهية للاعتذار عن هذا التخلف، وتبيان حقيقة حالهم. قال تعالى: ﴿سَيَقُولُ لَكَ الْمُخَلَّفُونَ مِنَ الْأَعْرَابِ شَغَلَتْنَا أَمْوَالُنَا وَأَهْلُونَا فَاسْتَغْفِرْ لَنَا يَقُولُونَ بِأَلْسِنَتِهِمْ مَا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ قُلْ فَمَنْ يَمْلِكُ لَكُمْ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا إِنْ أَرَادَ بِكُمْ ضَرًّا أَوْ أَرَادَ بِكُمْ نَفْعًا بَلْ كَانَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا . . بَلْ ظَنَنْتُمْ أَنْ لَنْ يَنْقَلِبَ الرَّسُولُ وَالْمُؤْمِنُونَ إِلَى أَهْلِيهِمْ أَبَدًا وَزُيِّنَ ذَلِكَ فِي قُلُوبِكُمْ وَظَنَنْتُمْ ظَنَّ السَّوْءِ وَكُنْتُمْ قَوْمًا بُورًا . . وَمَنْ لَمْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ فَإِنَّا أَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ سَعِيرًا . . . . سَيَقُولُ الْمُخَلَّفُونَ إِذَا انْطَلَقْتُمْ إِلَى مَغَانِمَ لِتَأْخُذُوهَا ذَرُونَا نَتَّبِعْكُمْ يُرِيدُونَ أَنْ يُبَدِّلُوا كَلَامَ اللَّهِ قُلْ لَنْ تَتَّبِعُونَا كَذَلِكُمْ قَالَ اللَّهُ مِنْ قَبْلُ فَسَيَقُولُونَ بَلْ تَحْسُدُونَنَا بَلْ كَانُوا لَا يَفْقَهُونَ إِلَّا قَلِيلًا . . قُلْ لِلْمُخَلَّفِينَ مِنَ الْأَعْرَابِ سَتُدْعَوْنَ إِلَى قَوْمٍ أُولِي بَأْسٍ شَدِيدٍ تُقَاتِلُونَهُمْ أَوْ يُسْلِمُونَ فَإِنْ تُطِيعُوا يُؤْتِكُمُ اللَّهُ أَجْرًا حَسَنًا وَإِنْ تَتَوَلَّوْا كَمَا تَوَلَّيْتُمْ مِنْ قَبْلُ يُعَذِّبْكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴾. الفتح/١١-١٦.

٤- ثم تعرج الآيات على تبيان الفئات المجتمعية المعذورة في تخلفها عن النبيﷺ، وتعود لتبين نتائج الامتثال لأمر الله وأمر النبيﷺ بما يحقق غاية الفتح الذي تحدثت عنه بداية السورة، قال تعالى: ﴿لَيْسَ عَلَى الْأَعْمَى حَرَجٌ وَلَا عَلَى الْأَعْرَجِ حَرَجٌ وَلَا عَلَى الْمَرِيضِ حَرَجٌ وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَمَنْ يَتَوَلَّ يُعَذِّبْهُ عَذَابًا أَلِيمًا . . لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ

يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنْزَلَ السَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَابَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا . . وَمَغَانِمَ كَثِيرَةً يَأْخُذُونَهَا وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا . . وَعَدَكُمُ اللَّهُ مَغَانِمَ كَثِيرَةً تَأْخُذُونَهَا فَعَجَّلَ لَكُمْ هَذِهِ وَكَفَّ أَيْدِيَ النَّاسِ عَنْكُمْ وَلِتَكُونَ آيَةً لِلْمُؤْمِنِينَ وَيَهْدِيَكُمْ صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا . . وَأُخْرَى لَمْ تَقْدِرُوا عَلَيْهَا قَدْ أَحَاطَ اللَّهُ بِهَا وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرًا ﴾. الفتح/١٧-٢١.

غني عن البيان أن مدار الآيات السابقة من سورة(براءة/التوبة) ومدار آيات سورة (الفتح) يتحركان ضمن حيز منتظم واحد، وأن وصل الخيوط بينهما يفضي لتوازي مواضيع الآيات في السورتين، ومسيرتهما جنباً إلى جنب في رصد مستوى الحراك المجتمعي الإسلامي استجابة لأمر الله والنبي صلى الله عليه وآله في حالتين أو تجربتين تاريخيتين خاضتهما الجماعة الإسلامية حينها. وقد تجدد انعكاس أو حضور تلكما التجربتين في اختبار الجماعة الإسلامية بموقفها من حراك الإمام الحسين عليه السلام وثورته.

وقد اثبت التاريخ هنا أنه يعيد انتاج نفسه، أو لنقل أن السنن التاريخية استحضرت تلك الأجواء والأنماط والفئات المجتمعية ومحاور الاستقطاب والاصطفاف (النبي صلى الله عليه وآله - المؤمنين/ المشركين- اليهود/ المحايدون- المتخلفون- المتشككون....الخ) التي استعرضها القرآن الكريم وسجل شواهدها لحظة بلحظة.

بعبارة أخرى يمكن القول: أن تحرك الإمام الحسين عليه السلام أعاد صياغة الواقع الإسلامي - بمحاور اصطفافه ونمطياته المجتمعية المتباينة - كما كان في زمن النبي صلى الله عليه وآله، وكما رسمه واقع النص القرآني. وقد أخذ فيه هو عليه السلام ومن لحق به دور البديل الأصيل عن النبي صلى الله عليه وآله والمؤمنين الذين التحقوا به وجاهدوا معه ونصروه وواسوه بنفوسهم وأموالهم، ولم يشكوا أو يرتابوا أو يترددوا للحظة واحدة بما أقدموا عليه، بينما أخذ الأمويين ومن ناصرهم وشايعهم دور المشركين وائمة الضلال من قبل. وبينهما كان هناك (المحايدون/المتخلفون/المتشككون) الذين حاول جاهداً استجلابهم لجانبه لكنهم لم يرتقوا بمستوى معرفتهم، ولم يستفيدوا من العرض القرآني للتجربة الإسلامية، ولا من تكرارها في اشارات واحالات الإمام الحسين عليه السلام عبر ردوده وخطاباته.

على أنه تجدر الإشارة هنا إلى أن كربلاء تمخضت عن مستويات من المعرفة والعشق

والتعلق والذوبان في شخص القائد ومبدأ النهوض، ما عرف لها نظير حتى في مستويات الاستجابة والمعرفة الملتحقة بالنبي صلى الله عليه وآله. فقد بلغت المستوى الذي جعل أنصار الإمام الحسين عليه السلام يتنافسون في أن يقتلوا بين يديه(٨٤).

- إنه العشق الذي جعل سعيد بن عبد الله الحنفي يقف أمامه؛ ليصد عنه السهام التي يرمى بها وهو يؤدي الصلاة، فتخترق وجهه وجسده، وهو واقف يستقبلها برحابة صدر واطمئنان عجيب!، حتى سقط إلى الأرض من كثرة ما أصابه منها(٨٥). وكان قال للإمام الحسين عليه السلام حين طلب منهم التفرق عنه: والله لا نخليك حتى يعلم الله أنا حفظنا غيبة رسول الله صلى الله عليه وآله فيك. والله لو علمت أني أقتل!، ثم أحيا، ثم أحرق، ثم أحيا، ثم أذر، يفعل ذلك بي سبعين مرة ما فارقتك، حتى ألقى حمامي دونك!. فكيف لا أفعل وإنما هي قتلة واحدة، ثم هي الكرامة التي لا انقضاء لها(٨٦).
- إنه العشق الذي جعل أم وهب تأخذ عموداً من الخيمة، وتنزل إلى ساحة المعركة خلف ولدها وهي تقول: فداك أبي وأمي. قاتل دون الطيبين ذرية محمد. فأقبل إليها يردها نحو النساء، فأخذت تجاذبه ثوبه، ثم قالت: لن أدعك دون أن أموت معك، فنادها الإمام عليه السلام: جُزيتم من أهل بيت خيرا. ارجعي رحمك الله للنساء فاجلسي معهن، فإنه ليس على النساء قتال. فرجعت، ثم تخرج بعد مقتله تمسح الدم والتراب عن رأسه وتهنئه بالجنة، فتقتل وهي محتضنة رأسه(٨٧).
- إنه العشق الذي جعل مسلم بن عوسجة يقول لحبيب بن مظاهر وهو يلتقط أنفاسه الأخيرة بعد أن دنى منه وبشره بالجنة: بشرك الله بخير. فقال له حبيب: لولا أني أعلم أني في أثرك لاحق بك لأحببت أن توصيني بكل ما أهمك. قال: بل أنا أوصيك بهذا رحمك الله- وأهوى بيده إلى الحسين- أن تموت دونه(٨٨). وكان سمع الإمام الحسين عليه السلام قال لأصحابه في ليلة لعاشر من المحرم: هذا الليل قد غشيكم فاتخذوه جملا. فرد عليه قائلاً: أنحن نخلي عنك ولما نعذر إلى الله في أداء حقك!. أما والله حتى أكسر في صدورهم رمحي!، وأضربهم بسيفي ما ثبت قائمه في يدي، ولا افارقك!، ولو لم يكن معي سلاح اقاتلهم به لقذفتهم بالحجارة دونك حتى أموت معك!(٨٩).

- إنه العشق الذي جعل قيس بن المسهر الصيداوي وعبد الله بن بقطر عليه السلام يرفضان بعد أن ألقي القبض عليهما في الكوفة، أن يسبا الإمام الحسين عليه السلام، ويتبرءا منه مقابل إطلاق سراحهما فيصعدان القصر ويسبان الدعي ابن الدعي وأباه، ويدعوا الناس لنصرة الإمام الحسين عليه السلام فيرميان من أعلى القصر[٩٠].

- إنه العشق الذي يملي على زهير بن القين عليه السلام أن يُقسم قائلاً: والله لو كانت الدنيا لنا باقية وكنا فيها مخلدين، إلا أن فراقها في نصرك ومواساتك، لآثرنا الخروج معك على الإقامة فيها. وقال: والله لوددت أني قتلت!، ثم نشرت!، ثم قتلت!،حتى أقتل كذا ألف قتلة!؛ وأن يدفع بذلك القتل عن نفسك وعن أنفس هؤلاء الفتية من أهل بيتك![٩١].

- إنه العشق والمعرفة التي تملي على الإمام علي الأكبر عليه السلام أن يقول: والذي إليه مرجع العباد. لا نبالي نموت محقين[٩٢].

وهكذا هي الشواهد كثيرة إذا أردنا تقصيها في هذا المجال. ولذلك استحق من اتبعوا الإمام عليه السلام ونصروه أن يأبنهم بقوله: إني لا أعلم أصحابا أوفى ولا خيرا من أصحابي، ولا أهل بيت أبر ولا أوصل من أهل بيتي[٩٣]. وإذا ما نظرنا لمستوى هذه الاستجابة والمعرفة ولموقف ونصائح المتخلفين اتضح لنا البون الشاسع بين الموقفين والمستوين، وأدركنا أن الإمام الحسين عليه السلام اكتفى بالتلميح دون التصريح، وترك لهم الخيار في الاستجابة أو التخلف؛ لأنه كان يبحث عن عينات ونمطيات استجابة ثقيلة من هذا النوع. وهو ما لم يتوفر في شخوص أولئك الناصحين.

## هوامش البحث ومصادره

(١) ابن سعد: الطبقات، ٢١٣/٢- ٢١٥؛ أحمد بن حنبل: مسند، ٣٢٥/١، ٣٣٦؛البخاري:صحيح، ١٣٨/٥؛ ٩/٧؛ ١٦١/٨؛ مسلم: صحيح، ٧٦/٥ ؛ ابن حبان: صحيح، ٥٦٢/١٤-٥٦٣.

(٢) ابن شعبة الحراني: تحف العقول، ٢٤٥؛ الإربلي: كشف الغمة، ٢٤٢/٢.

(٣) الصدوق: الأمالي،١٧٧؛ ابن شهر آشوب: مناقب آل أبي طالب،٢٣٨/٣؛ ابن نما الحلي: ذوب النضار، ٢٧؛ مثير الأحزان، ١٣.

(٤) ينظر: الكليني: الكافي، ٥٨/٤؛ الصدوق: ثواب الأعمال،٨٩؛ الطوسي: مصباح المتهجد، ٧١٥.

(٥) الصدوق:الأمالي،٢٢٢-٢٢٣؛ الفتال النيسابوري: روضة الواعظين،١٨٥-١٨٦؛ ابن طاووس: اللهوف في قتلى الطفوف، ٥٢-٥٣.

(٦) ابن أعثم: كتاب الفتوح، ٨٤/٥؛ أبو الفرج الأصفهاني: مقاتل الطالبيين، ٧٥.

(٧) البلاذري: جمل من أنساب الأشراف، ٣٧٦/٣-٣٧٧؛ الطبري: تاريخ،٣٨٦/٥؛ المفيد: الإرشاد،٦٧/٢.

(٨) ثياب معصفرات. أي ثياب مصبوغة بالعصفر وهو نبت يستخدم لصبغ الملابس. ابن منظور: لسان العرب، ٥٨١/٤.

(٩) أبو نصر البخاري: سر السلسلة العلوية،٩٦؛ ابن عنبة: عمدة الطالب، ٣٦٢.

(١٠) عمدة الطالب، ٦٩- ٧٠.

(١١) ابن سعد: الطبقات،١١٦/٧؛ ابن قتيبة: المعارف،٢١٦؛ البلاذري: جمل من أنساب الأشراف،٤٢٣/٢؛ الطبري: تاريخ،١٥٢/٥؛ ابن عساكر: تاريخ مدينة دمشق، ٣٢١/٥٤-٣٢٦؛ المزي: تهذيب الكمال، ١٥٢/٢٦؛ الذهبي: سير أعلام النبلاء،١٢٨/٤؛ ابن كثير: البداية والنهاية،٤٧/٩.

(١٢) ابن خلكان: وفيات الأعيان،١٧٢/٤.

(١٣) ابن حبان: مشاهير علماء الأمصار،١٠٣؛ وينظر: ابن عساكر: تاريخ مدينة دمشق، ٣٢٤/٥٤.

(١٤) ابن سعد: الطبقات،٩٣/٧؛ ابن عساكر: تاريخ مدينة دمشق، ٣٢٣/٥٤. وكان ترجم له ترجمة طويلة جداً وذكر جميع الآراء في ذلك، ٣١٨- ٣٥٩؛ المزي: تهذيب الكمال، ١٤٨/٢٦؛ الذهبي: سير أعلام النبلاء، ١١٠/٤.

(١٥) البلاذري: جمل من أنساب الأشراف،٤٢٢/٢.

(١٦) ابن عساكر: تاريخ مدينة دمشق، ٣٢٣/٥٤- ٣٢٧؛ المزي: تهذيب الكمال،١٥٢/٢٦؛ الذهبي: سير أعلام النبلاء، ١١١/٤-١١٤.

(١٧) عمدة الطالب، ٣٥٣.

(١٨) عمدة الطالب، ٣٥٣.

(١٩) سير أعلام النبلاء، ١٢٩/٤-١٣٠.

(٢٠) ابن عبد البر: التمهيد، ٩٠/١٠- ٩٢.

(٢١) الطبقات الكبرى، ٣٢٨/٥.

(٢٢) الطبري: تاريخ، ٣٤١/٥-٣٤٢. وينظر ابن أعثم: كتاب الفتوح، ٢٠/٥-٢١؛ المفيد: الارشاد،٣٤/٢-٣٥؛ ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ١٦/٤- ١٧.

(٢٣) اللهوف في قتلى الطفوف، ٣٩- ٤٠.

(٢٤) الدينوري: الأخبار الطوال،٢٢٨؛ البلاذري: جمل من انساب الأشراف،٣/٣٦٨-٣٦٩؛ الطبري: تاريخ، ٣٣٨/٥؛ ابن الجوزي: المنتظم،٣٢٣/٥.أضاف ابن أعثم :فمن أبى عليك منهم، فاضرب عنقه وابعث إلي برأسه. الفتوح، ١٠/٥.

(٢٥) الطبري: تاريخ،٤٠٢/٥.

(٢٦) جعجعت بالرجل: حبسته في مجلس سوء. الفراهيدي:العين،٦٨/١.أي أمنعه من التحرك.

(٢٧) البلاذري: أنساب الأشراف،٣٨٥/٣؛ الطبري: تاريخ، ٤٠٨/٥. وينظر. الدينوري: الأخبار الطوال، ٢٥٠.

(٢٨) الطبري: تاريخ، ٥/ ٣٨٥.

(٢٩) ابن نما الحلي: مثير الأحزان، ١٥.

(٣٠) البلاذري: جمل من أنساب الأشراف،٣/٣٩٦-٣٩٧؛ الطبري: تاريخ، ٤٢٥/٥؛ ابن الأثير: الكامل، ٦٢/٤-٦٣.

(٣١) الطبري: تاريخ،٤٠٣/٥. ثم ينظر: الطبراني: المعجم الصغير،٢٦٤/١-٢٦٥؛ المعجم الكبير،٩٠/٢٠؛مسند الشاميين،٣٨٠/١؛ الهيثمي: مجمع الزوائد، ٥/ ٢٢٨؛ ابن حجر: فتح الباري،٥/١٣؛ السيوطي: الدر المنثور،٣٠١/٢؛ الصالحي الشامي: سبل الهدى والرشاد،١٣٧/١٠؛ المتقي الهندي: كنز العمال، ٢١٦/١.

(٣٢) الطبري:تاريخ،٤٠٣/٥. ثم ينظر: الطبراني: المعجم الصغير،٢٦٤/١-٢٦٥؛ المعجم الكبير،٩٠/٢٠؛ مسند الشاميين،٣٨٠/١؛ الهيثمي: مجمع الزوائد، ٥/ ٢٢٨؛ ابن حجر: فتح الباري،٥/١٣؛ السيوطي: الدر المنثور،٣٠١/٢؛ ألصالحي الشامي: سبل الهدى والرشاد،١٣٧/١٠؛ المتقي الهندي: كنز العمال،٢١٦/١.

(٣٣) تاريخ،٣٨٧/٥.

(٣٤) الطبراني: مقتل الحسين ،٤١. وقد ذكر ابن سعد، أحاديث كثيرة في ذلك. الطبقات الكبرى،٤١٧/٦-٤٢١.

(٣٥) الطبراني: مقتل الحسين ،٤١.

(٣٦) الطبراني: مقتل الحسين ،٤١-٤٢،الهيثمي: مجمع الزوائد، ١٨٧/٩.

(٣٧) الطبراني: مقتل الحسين ،٤٩-٥٠.وينظر: ابن سعد: الطبقات،٤١٩/٦.

(٣٨) الطبراني: مقتل الحسين،٤٤؛ الهيثمي: مجمع الزوائد،١٨٧/٩-١٨٨. وينظر: ابن سعد: الطبقات، ٤١٧/٦-٤١٩؛ أحمد بن حنبل، مسند، ٢٩٤/٦.

(٣٩) ينظر: احمد بن حنبل: مسند،٢٤٢/٣، ٢٦٥، ٢٩٤/٦؛ الطبراني: مقتل الحسين ،٤٣- ٤٩؛ الهيثمي: مجمع الزوائد، ١٨٧/٩.

(٤٠) الطبري: تاريخ،٣٨٤/٥-٣٨٥؛ المسعودي: مروج الذهب،٥١/٣-٥٣.

(٤١) الصفار: بصائر الدرجات، ٥٠٢؛ ابن شهر آشوب: مناقب آل ابي طالب،٢٣٠/٣؛ ابن نما الحلي: ذوب النضار، ٢٩؛ مثير الأحزان،٢٧.

(٤٢) الصفار: بصائر الدرجات، ٥٠٢؛ الطبري: دلائل الإمامة، ١٨٧- ١٨٨؛ نوادر المعجزات، ١٠٩-١١٠؛ ابن نما الحلي: مثير الأحزان،٢٧؛ ابن طاووس: اللهوف في قتلى الطفوف،٤٠-٤١.

(٤٣) الطبري: تاريخ،٣٤١/٥-٣٤٢. وينظر ابن أعثم: كتاب الفتوح، ٢٠/٥-٢١؛ المفيد:الارشاد،٣٤/٢-٣٥؛ ابن الأثير: الكامل في التاريخ،١٦/٤- ١٧.

(٤٤) الصفار: بصائر الدرجات، ٥٠٢؛ الطبري: دلائل الإمامة، ١٨٧- ١٨٨؛ نوادر المعجزات، ١٠٩-١١٠؛ ابن نما الحلي: مثير الأحزان،٢٧؛ ابن طاووس: اللهوف في قتلى الطفوف، ٤٠-٤١.

(٤٥) بحار الأنوار،١٠٩/٤٢-١١٠.

(٤٦) ابن نما الحلي: مثير الأحزان، ٢٩؛ابن طاووس: اللهوف في قتلى الطفوف، ٣٨؛ الإربلي: كشف الغمة، ٢٣٩/٢.

(٤٧) ابن سعد: الطبقات الكبرى، ٤٢٨/٦- ٤٢٩؛ ابن عساكر: تاريخ مدينة دمشق، ٢١٢/١٤؛ ابن العديم: بغية الطلب، ٢٦١٢؛ ابن كثير: البداية والنهاية، ١٧٨/٨.

(٤٨) ابن قولويه: كامل الزيارات، ١٥٧؛ المجلسي: بحار الأنوار، ٨٧/٤٥.

(٤٩) ابن قولويه: كامل الزيارات،١٥٨؛ المجلسي: بحار الأنوار، ٨٧/٤٥.

(٥٠) الصفار: بصائر الدرجات، ٥٠٢؛الطبري: دلائل الإمامة، ١٨٧- ١٨٨؛نوادر المعجزات، ١٠٩-١١٠؛ابن نما الحلي: مثير الأحزان،٢٧؛ ابن طاووس: اللهوف في قتلى الطفوف،٤٠-٤١.

(٥١) الطبرسي: الاحتجاج، ٢/ ٢٤-٢٥؛ابن عساكر: تاريخ مدينة دمشق، ٢١٩/١٤؛الخوارزمي: مقتل، ٩/٢-١٠؛ ابن نما الحلي: مثير الأحزان،٤٠؛ابن طاووس: اللهوف في قتلى الطفوف،٥٩.

(٥٢) الدينوري: الأخبار الطوال،٢٢١.

(٥٣) الصفار: بصائر الدرجات، ٥٢٢؛ الكليني: الكافي، ٣٨٤/١؛ ابن بابويه القمي: الإمامة والتبصرة،٦٠-٦٢؛ الطبري: دلائل الإمامة، ٢٠٦-٢٠٨؛ الطبرسي:الاحتجاج،٤٦/٢-٤٧؛ ابن نما الحلي: ذوب النضار،٥٢-٥٣؛ ابن شهر آشوب: مناقب آل ابي طالب، ٢٨٨/٣؛الإربلي:كشف الغمة، ٣٢٢/٢-٣٢٣.

(٥٤) الخرائج والجرائح،٢٨٥/١.

(٥٥) الصدوق: كمال الدين وتمام النعمة، ٣٢-٣٣؛ ابن ادريس الحلي: السرائر،١٦٢/٣. حتى أن شاعر أهل البيت عليهم السلام السيد الحميري قال فيه:

| | |
|---|---|
| **ألا قـل للوصي فـدتك نفسي** | **أطلت بذلك الجبل المقاما** |
| **أضر بمعشر والوك منا** | **وسموك الخليفة والإماما** |
| **وعادوا فيك أهل الأرض طرا** | **مقامك عنهم عشرين عاما** |
| **وما ذاق ابن خولة طعم موت** | **ولا وارت له أرض عظاما** |
| **لقد أمسى بمورق شعب رضوى** | **تراجعه الملائكة السلاما** |

ينظر: المصعب الزبيري: نسب قريش،٢/ ٤١-٤٢.

(٥٦) القاضي النعمان المغربي: شرح الأخبار، ٢٨٤/٣.
(٥٧) المرتضى: الأمالي، ١١٤/١.
(٥٨) ابن سعد: الطبقات الكبرى، ٣٢٨/٥.
(٥٩) ابن سعد: الطبقات الكبرى، ٣٢٨/٥؛ابن عبد البر: التمهيد، ٩١/١٠.
(٦٠) ابن سعد:الطبقات،٤٢٧/٦-٤٢٨؛ الطبري: تاريخ، ٢٨٧/٤-٢٨٨؛ ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ٣٧/٤-٣٩.
(٦١) ابن نما الحلي: مثير الأحزان، ٢٩؛ابن طاووس: اللهوف، ٣٨؛ الإربلي: كشف الغمة، ٢٣٩/٢.
(٦٢) ابن عساكر: تاريخ مدينة دمشق، ٢٠٥/١٤-٢٠٦؛ المزي: تهذيب الكمال، ٤١٣/٦-٤١٤؛ الذهبي: تاريخ الإسلام، ٦/٥.
(٦٣) ابن قتيبة الدينوري: الإمامة والسياسة، ١٦٠/١-١٦١.
(٦٤) ابن أعثم: الفتوح،٨٩/٥. وينظر. الدينوري: الأخبار الطوال، ٢٥٤.
(٦٥) الطبري: تاريخ، ٣٤٣/٥. وينظر. البسوي: المعرفة والتاريخ، ٥٣١/١-٥٣٢.
(٦٦) المعرفة والتاريخ، ٥٣١/١-٥٣٢.
(٦٧) ابن سعد: الطبقات، ٤٢٧/٦-٤٢٨؛ ابن عساكر: تاريخ، ٢١٠/١٤-٢١١؛ المزي: تهذيب الكمال، ٤١٩/٦-٤٢٠؛ ابن كثير: البداية والنهاية،١٧٧/٨.
(٦٨) ديوان ابن المقرب، ١٤٠.
(٦٩) ابن سعد: الطبقات، ٤٢٥/٦.
(٧٠) ابن عساكر: تاريخ مدينة دمشق، ٢٩٨/٤٠؛ ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ٥٠٤/٣-٥٠٥.
(٧١) المبرد: الكامل في اللغة والأدب، ٨٣/٢.
(٧٢) ابن سعد: الطبقات، ٤٢٥/٦.
(٧٣) ابن سعد: الطبقات، ٤٢٥/٦.
(٧٤) ابن سعد: الطبقات، ٤٢٥/٦.
(٧٥) ابن أبي شيبة: المصنف، ٥١٥/٧؛ أحمد بن حنبل: مسند، ١٧٢/٤؛ البخاري: الأدب المفرد، ٨٥؛ الطبراني: المعجم الكبير، ٣٢/٣؛ مسند الشاميين، ١٨٤/٣؛ ابن ماجه: سنن، ٥١/١؛ الترمذي: سنن، ٣٢٤/٥؛ ابن حبان: صحيح، ٤٢٨/١٥؛ الحاكم النيسابوري المستدرك، ١٧٧/٣.
(٧٦) الدينوري: الأخبار الطوال، ٢٢٨؛ البلاذري: جمل من انساب الأشراف، ٣٦٨/٣-٣٦٩؛ الطبري: تاريخ، ٣٣٨/٥؛ ابن الجوزي: المنتظم، ٣٢٣/٥. أضاف ابن أعثم: فمن أبى عليك منهم، فاضرب عنقه وابعث إلي برأسه. الفتوح،١٠/٥.
(٧٧) الطبري: تاريخ، ٤٠٢/٥.
(٧٨) جعجعت بالرجل: حبسته في مجلس سوء. الفراهيدي:العين،٦٨/١.أي أمنعه من التحرك.

(٧٩) البلاذري: أنساب الأشراف،٣/٣٨٥؛ الطبري: تاريخ،٥/٤٠٨. وينظر. الدينوري: الأخبار الطوال، ٢٥٠.
(٨٠) الطبري: تاريخ، ٥/ ٣٨٥.
(٨١) البقية اليسيرة أو القليلة تبقى في الإناء من الشراب. ابن سلام: غريب الحديث، ١٦٧/٤.
(٨٢) أي وخيم. غير جيد. الجوهري: الصحاح، ١٨٣٩/٥.
(٨٣) الطبري: تاريخ، ٥/٤٠٣- ٤٠٤. والبرم: الضجر من الشيء. الفراهيدي: العين،٢٧٢/٨.
(٨٤) ينظر: الطبري، تاريخ،٤٤٢/٥.
(٨٥) البلاذري: جمل من أنساب الأشراف،٤٠٣/٣؛ الطبري: تاريخ،٥/٤٤١؛ ابن الأثير: الكامل،٧١/٤.
(٨٦) الطبري: تاريخ،٤١٩/٥.
(٨٧) الطبري: تاريخ،٤٢٩/٥-٤٣٨؛ ابن الأثير: الكامل، ٦٥/٤-٦٦؛ ابن كثير: البداية والنهاية، ١٩٦/٨-١٩٧. وباختصار عند: البلاذري: جمل من انساب الأشراف،٣٩٨/٣.
(٨٨) الطبري: تاريخ،٤٣٥/٥-٤٣٦.
(٨٩) الطبري: تاريخ، ٤١٩/٥؛ ابن الجوزي: المنتظم، ٥/ ٣٣٨.
(٩٠) ينظر: ابن سعد: الطبقات،٤٤٣/٦،٤٣٥؛ الطبري: تاريخ،٣٩٥/٥- ٣٩٨، ٤٠٥.
(٩١) البلاذري: جمل من أنساب الأشراف،٣٨١/٣؛ الطبري: تاريخ،٤٠٤/٥، ٤١٩-٤٢٠.
(٩٢) الطبري: تاريخ، ٤٠٧/٥، ٤٠٨.
(٩٣) ابو الفرج الاصفهاني: مقاتل الطالبيين،٧٤؛ الصدوق: الأمالي،٢٢٠؛ المفيد: الارشاد،٩١/٢.